

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٥٩١]

رئيس التحرير : رجب البنا

تصميم الغلاف : **منال بدران**

إبراهيم عبد العزيز

منهج الشيخ الشعراوى لإصلاح المجتمع

الطبعة الثالثة



دار المعارف

إن الذين عنوا بإنشـاء هـذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربيـة . وأن ينتفعوا ، وأن تـدعـوهـم هذه القـراءة إلى الاستزادة من الثقـافة ، والطموح إلى حياة عقليـة أرقى وأخصب من الحياة العقليـة التى نحيـاهـا .

طـه حسين

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

مقدمة

يرى الشيخ الشعراوى أن المصلح – خاصة إذا كان مصلحًا دينيًا – يجب ألا يصبغ نفسه بصبغة جمعية أو حزب ، لأنه كما سيكون للجمعية أو الحزب أنصار سيكون له معارضون ، فضلا عن أن الجمعيات والأحزاب يكون لها غاية الوصول إلى الحكم ، وهى غاية يركب موجتها الكثيرون من أصحاب النوايا غير الخالصة ، ولذلك حينما سُئل الشيخ الشعراوى :

هل تريد أن تحكم بالإسلام ؟ أجاب : احكمونى أنتم بالإسلام .

وما من جماعة رفعت شعار الإسلام إلا واصطدمت بالدولة ، للجوئها إلى أسلوب العنف وتكفيرها للمجتمع ، فضلا عن أن وجود أكثر من جماعة يدل على اختلافهم ، فهؤلاء إخوان ، وهؤلاء سلفيون ، وأولئك « جهاد » ، وجماعة أخرى « تكفير وهجرة » وهكذا – وهذه الجماعات فى صراعها مع الدولة تنقصها الحكمة ، فلا تنظر إلى قوتها وقوة الدولة ، وفى النهاية تكون هى الخاسرة .

ويضرب الشيخ الشعراوى مثلا بالرسول - الذى لم يستخدم القوة للدفاع عن دعوته إلا بعد أن قويت شكوته ، واشتد عود أصحابه ونما أنصاره ، ولذلك انتصر فى أول مواجهة مع الكفار ، ولو كان قد بَدَأَهُمْ بالمواجهة فى بدء دعوته لانتهت دعوته ، لذلك يرى الشيخ الشعراوى فى جماعة كجماعة الإخوان المسلمين ، أنهم تعجلوا الثمرة ، ولو حافظوا على جذوة دعوتهم ، وحافظوا على ضوء الشمعة ، لصارت مع مرور السنوات ونمو الدعوة شمسًا تضىء جنبات المجتمع كله ، وقد تجنب الشيخ الشعراوى الانضمام إلى جماعة أو تشكيل جماعة ، لأن المطامع غالبًا ما تتسرب إلى مثل هذه الجماعات .

وقد كان غياب دور الأزهر سببًا فى وجود مثل هذه الجماعات ، وقد نبَّه الشيخ الشعراوى إلى ما لحق بالأزهر ، وقال فى كلمة له أمام الرئيس السادات فى الجامع الأزهر بعد أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ :

(شاء أعداء الإسلام فى الدنيا كلها أن يقفوا أمام الأزهر ، لأنهم بوقفتهم أمام الأزهر يقفون أمام دين الله ، فإذا ما أخمد ذلك الشعاع فلا دين لله فى كل البقاع .

ولكنهم حينما أرادوا أن ينهضوا بدنياهم لم يجدوا إلا الأزهر ، فأخذوا منه صفوة علمائه ووجَّهُوهم إلى منابع العلم فى الدنيا فجاءوا

وفعلوا ما فعلوا ، ولو أن الأمر كان طبيعيًا لظل الأزهر كذلك ، ولكن شاء أعداء الدين أن يقوقعوا الأزهر وأن يعزلوه ليجعلوا منه رهبانية شعائر ، فعزلوه عن حركة الحياة ، وسلطوا ألسنة الإعلام فى كل زمان أن ينالوا من أهله سخرية وهزءا ... وهكذا عزل الأزهر ، فلما شاء الله للأمة أن تكون لها ذاتية ، وشاء الله للأزهر أن يمدين ، وأن تدخل فيه جميع أنواع الفنون والعلوم ، كان ذلك على حساب مهمته الأصلية) .

ثم يصف الشيخ الشعراوى علاج الأزهر والذى هو فى نفس الوقت علاج للأمة حين يطالب :

(خلصوا الأزهر لله ... خلصوا الأزهر لدين الله وحسبه أن ينال حظًا من ثقافات العقل ، أو أزهروا التعليم المدنى أيضًا حتى لا يوجد فى الأمة انقسام فَهْم ، ولا ازدواج تعليم ، لأن هنا منشأ العاطفة كلها ، أمة يجب أن تتوحد صفوفها ، ويجب أن يوحد منهجها ، ولا يمكن أن ننال ما نريد إلا إذا وحد المنهج ووحدت أفهام الأمة بهيمنة موحدة لله).

وينبه الشيخ الشعراوى إلى ضرورة ألا يكون العلاج ظاهريا ، بل يجب أن يصل إلى أصل العلة لاقتلاعها ذلك – كما يقول : (إننا نعيش فتنًا ، ونعيش أحداثًا ، وحين نتجه إلى العلاج نتجه إلى ظواهر الأمراض ، ولا نتجه أبدًا إلى منابع الأمراض ، وشفاء الظاهر

لا يجدى ، فالذى يداوى البشرة من بثور ونتوءات فيها لا يداوى أصل العلة ، ولكنه يداوى فقط ظاهر العلة ، لذلك حينما شاء الله أن يقص علينا «خبر أيوب » وما ابتلاه به ، ماذا قال ؟ قال : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾(١) ، مغتسل : يغسل ظاهر الجسم ، وشراب : ينهى أصل العلة ، فمن أراد أن يعالج فلابد أن ينصب علاجه على باطن العلة أولا) .

ويحدد الشيخ الشعراوى البداية التى يجب أن تكون فى تشخيص العلة وباطنها فيقول : (علة العلل أننا نعترف جميعًا أننا مخلوقون ، وما دمنا نعترف جميعًا بأننا مخلوقون لله ، وما دمنا نعترف جميعًا بأننا «ننسب » إلى صانعها ، يجب حين نعترف بأن الله هو الذى خلق ، يجب أن نعترف بأن الله وحده هو الذى يضع « قانون الصيانة » لمن خلق ، فإذا أدخلنا أنوفنا فيما ليس لنا ، فسد الأمر ، وقد ذكر فى الفتن أمام رسول الله ﷺ كما روى عقبة بن عامر : قلنا فما المخرج يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم ، وفصل ما بينكم ، هو الجد ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله .

إذن فعلة العلل وآفة الآفات أن تؤمن بأن الله خلق ، ثم تسوغ للعقل البشرى أن يشرع ، أرأينا صنعة فى الدنيا تقنن

---

(١) سورة (ص) : الآية ٤٢ .

لنفسها ؟ ، أرأينا فى الدنيا صنعة تقنن قوانين صيانتها ؟ ، أرأينا صنعة فى الدنيا تقول مهمتى كذا ؟ لا ، إن الذى يقول كل ذلك هو صانع هذه الصنعة) .

وإذا ما نظرنا إلى الأحداث التى تمر هنا داخليًّا وخارجيًّا فى محيطها الأبعد ، وخارجيًا أيضًا فى محيطها البعيد فى أمتنا الإسلامية وأمتنا العربية ، لوجدنا أن الأصل هو العزوف عن منهج الله ، وهذا هو ما يحاول الشيخ الشعراوى أن يقربنا منه ، فيتناول كل قضية وكل مشكلة ليضع لها العلاج والإصلاح من خلال منهج الله الذى يقوم على كتاب الله وسنة رسوله ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالفرد أو الأسرة أو المجتمع أو الأمة ، وما يعرض لكل منها من أحداث وقضايا مثارة من زمن إلى زمن ، كالبطالة ، وتباين المجتمع بين أغنياء وفقراء ، وشيوع التحلل ، وتفكك الأسرة ، وغير ذلك مما يوضح فضيلة الشيخ الشعراوى الالتباس فيه ، ويلقى عليه مزيدًا من ضوء بيانه الناصع وحجته المقنعة ، مما يجلو لنا كثيرًا من الأمور حين يضع أيدينا على أصل الداء ، ثم يصف لنا العلاج ، وفى هذا الحوار نصطحب الشيخ الشعراوى فى سياحة فكرية إيمانية يصطحبنا هو فيها مع كتاب الله وسنة رسوله ، لنعرف كيف نحن الآن وماذا يجب علينا أن نكون .

إبراهيم عبدالعزيز



الفصل الأول

الطريق إلى أسرة صالحة وأطفال أصحاء

(خصال الخير يمكن أغلبها أن تكون موجودة في نساء ليس لهن حظ من الحسن والجمال ، لأن الجميلة تعتمد على جمالها فقط ، فلا تأخذ زاوية الجمال الحسى كمقياس للمرأة ، ولكن انظر إلى زاوية الجمال الخلقى) .

الشيخ الشعراوى

أسرتك الناجحة

س - اهتم الإسلام بالأسرة ، كيف وما هى مقومات الأسرة الناجحة ؟

ج – الشعراوى : الأسرة الناجحة تبدأ من الزواج ، فإذا سار الزوج على المنهج الذى وضعه الله ورسوله ، تكون الأسرة قد وقفت على أساس سليم فى المستقبل ، وحين يشرع الحق سبحانه وتعالى لنا فإنه يشرع ما تقتضيه الفطرة السليمة ، وحين يريد بناء حياة أسرة فإنه يريد بناءها على طهر وعلى أمن ملكات ، لذلك فعندما تجد الرجل مع زوجته لا يجد غضاضة فى أن يغلق عليه وعليها الباب – بعكس ما لو كان مع امرأة محرمة ، تجد خائنة الأعين والتربص والرجفة لو سمع أى همسة ، لماذا ؟ لأن الملكات غير منسجمة ، فهو يشبع شهوة ملكة واحدة فى الحرام ، ولكن الملكات الأخرى مفزعة ، لأنه يقوم بأمر غير طبيعى ، أما الذى يعيش فى حلاله فتجده يشعر بأمن نفسى ، يعطى كل ملكات النفس متعة .

وقس على هذا صاحب أسرة رأى شابًا يعبر كثيرًا أمام البيت ويلتفت كثيرًا إلى الشرفة، فيقع أبوالبنت عليه، فتهيج جوارحه وتركبه

الغيرة على محارمه ، ولكن إذا جاء الشاب أو أبوه يريد خطبة هذه البنت فماذا يكون الحال ؟ سرور وبهجة ونفس مطمئنة وهيصة ودعوات وذيوع لخبر الخطبة ، فما الذى حدث ؟ الذى حدث، أن خالق الزوجين الذكر والأنثى حين شرع الالتقاء بينهما أعطى رضا الالتقاء ، لذلك قال رسول الله ﷺ : « جَدَعَ الحَلَالُ أَنْفَ الغِيرةِ » ، والغيرة هى الحمية تأتيك حين يطلب عرضك عن طريق غير طريق من خلق الأعراض فتهيج النفس ، وإن طلب عرضك على وفق ما شرع خالق الأعراض يحدث الرضى ، ولماذا الرضى هنا والسكينة والفرح بعكس الغيرة ؟

إن خالق الرجل والمرأة حين شرع التقاءهما على شرعه وسنة رسوله يعدل ذرات كل منهما ،هنا سلب ، وهنا إيجاب فيحصل الانسجام ، وهكذا يريد الله بناء الأسرة على هذا المعنى الحلال ، أما اللقاءات المحرمة المدسوسة خفية ومنكورة الثمرة ، فالمولود يجهضونه أو يرمونه فى الشارع ، هذا إضافة إلى الأمراض التى تنشأ عن هذه اللقاءات المحرمة مثلما رأينا فى أوربا وأمريكا رغم تقدمهم فى علوم الطب إلا أنهم لم يعثروا على علاج لبعض الأمراض الجنسية مثل مرض « الإيدز » ، الذى نتج عن الإباحية الموجودة هناك مخالفًا شرع الله ، وأما الزواج بحلال الله ففيه أمن وطمأنينة واستقرار وصحة جسدية ونفسية ، على أن نختار الزوجة الصالحة ذات الدين

والخلق ، فهذا خير ما نستفيده بعد تقوى الله كما قال رسول الله ﷺ : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرًا له من زوجة صالحة ، إنْ أمرها أطاعته ، وإنْ نظر إليها سرته ، وإنْ أقسم عليها أبرته ، وإنْ غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » فإذا آمنا بأن الزواج وفق ما شرع الله وفق حلاله باختيار المرأة الصالحة هو الطريق المستقيم ، فإن من الطريق المستقيم لذرية قوية هو زواجِ الأباعد لا الأقارب ، وقد أثبتت العلوم الحديثة وأعانتنا على فهم أحكام الله ، فوجدوا أنه فى الحيوان تهجين سلالة بسلالة أخرى بعيدة يأتى بنسل قوى ، بعكس ما لو كان التكاثر من نفس السلالة ، وكذلك التكاثر فى النبات ، وبالاستقراء وجدوا فى الإنسان أنه كلما ابتعد النوعان (الذكورة والأنوثة) يجىء النسل من ثمرة التكاثر قويًّا فى الصفات ، لذلك قال الرسول ﷺ : « اغتربوا ولا تضووا » أى اغتربوا فى زواجكم حتى لا يهزل نسلكم ، وبالاستقراء وجدوا أن الزواج حينما يدور فى نفس العائلة بعد فترة ينشأ ضعف جسمانى وضعف مناعى .

وسبب آخر إلى جانب قوة النسل إذا ابتعدنا عن زواج الأقارب هذا السبب هو فى العلاقة الزوجية التى هى عرضة دائما للأغيار النفسية والخلافات التى تنشأ ، فكيف تكون العلاقة الزوجية بينك وبين قريبتك ابنة العم أو الخال مثلا ؟ لاشك أن الخلاف بينكما

كزوج وزوجة سينعكس على صلة القرابة وصلة الرحم ، لذلك يقول لك الإسلام ابتعد عن زواج الأقارب حتى لا تدخل صلة الرحم فى مجال الشقاق والخلاف .

الرضاعة الصحيَّة

س - ما رأيكم فى الرضاعة من غير الأم سواء بالرضاعة الصناعية أو من أم أخرى ؟

ج - إذا ما تزوجت المرأة الصالحة وبحلال الله ، عليك أن تتقى الشبهات بالاحتراس من إرضاع أولادك من غير أمهم أو إرضاع الأم لغير أبنائها لما ينشأ عن ذلك من مشاكل فى المستقبل ، فرضاع الطفل من غير أمه تكون نتيجته تكوين خلايا فى جسمه من التى تكونت لأبنائها وبناتها منها ، فيحرمن عليه إذا أراد الزواج منهن بعد ذلك ، وقال العلماء : إن الرضاعة يغلب على الظن أنها تنشئُ خلايا ، وانتهى المحققون إلى أن ما يحرم من الرضاع هو خمس رضعات مشبعات ، أو يكون رضع يوما وليلة خلال مدة الرضاع وهى سنتان ، وقد نشأت مسألة بين سيدنا عمر وسيدنا على متعلقة بهذا الأمر ، فقد جاءت زوجة ولدت لست شهور ، والشائع أن الحمل لتسعة شهور ، يعنى ستة شهور لا يوجد ، فأراد عمر أن يقيم عليها الحد ، ولكن سيدنا على أدرك المسألة وقال : ولكن الله يقول

غير ذلك : [وهذا من فتوح الله ساعة الفتيا ، فيجرى الله النصوص القرآنية على خيال من يفتح عليه ، فالنص موجود فى القرآن والمسلمون لا يتنبهون له ، وقد تكون المسألة من اجتماع نصين متفرقين] ، فماذا قال على فى مسألة الأم التى ولدت لست شهور ؟ قال كرم الله وجهه : قال الله عز وجل ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾(1) يعنى الرضاعة التى قررها الله أربعة وعشرين شهرًا ، وماذا فى هذا لا شىء حتى الآن ، ثم قال على رضى الله عنه : وقال الله تعالى فى آية أخرى : ﴿ وحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا ﴾(2) « أى رضاعه ثلاثون شهرا ، فإذا كان الحمل زائد الرضاع ثلاثين شهرًا ، والرضاع التام أربعة وعشرون شهرًا ، يبقى ثلاثين ناقص أربعة وعشرين تساوى (ستة شهور) ، إذن فمن الممكن أن تكون مدة الحمل ستة شهور ، وهكذا أنقذ على المرأة من إقامة الحد عليها بفتوحات الله عليه .

ونعود لمسألة الرضاع نجد أنها مسألة متشعبة ، لأن النبى ﷺ قال : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » ، لذلك حينما نرى أن بركة الله لا تحوم حول كثير من البيوت ، لابد أن ندرك أسبابها

---

(1) سورة البقرة : آية ٢٣٣ .

(2) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

وهى البعد عن استقبال البركة من الله ، وذلك بأن تكون هذه البيوت بعيدة عن منهج الله ، لأن إرسال الله مستمر ، ولكن أجهزة الاستقبال البشرية « خربانة » ، كالإذاعة إرسالها مستمر ولكن الراديو عندك خربان فكيف يستقبل الإرسال ؟ .

كذلك بركات الله موجودة ولكن أجهزة الاستقبال غير سليمة ، وأولها أن كثيرًا من الناس يقعون فى المحرمات ولو من غير قصد كبعض الأمهات يرضعن أولاد الناس ، وحكم الله ليس فى بالهن ، لذلك فإننا نقول : إذا كنتم أيها المسلمون قد احتطتم لأولادكم فيما يؤدى إلى سلامة بنيتهم فلكل طفل شهادة وملف وأوراق تطعيمه ضد الدفتريا والتيفود والسل والشلل ، فنحن نقول لكم يا أسرة الإسلام خذوا المسائل أخذًا إيمانيًّا ، كما تضعون ملفًّا يضمن سلامة بنيتهم اعملوا ورقة تضمن سلامة أسرتهم ، ورقة ساعة ما يولد ، فيها أيتها الأم المسلمة : من الذى أرضعتيه ؟ ويكتب هذا فى ورقة تحفظ مع ملف الطفل ، حتى إذا جـاءت ساعة زواجه بعد ذلك تقول : يا موثق عقد الزواج هذا هو الملف فيه ورقة بأسماء من أرضعتهم أم هذا الأبن حتى لا يقع فى المحرمات ويتزوج من تحرم عليه وتكون أمه قد أرضعتها ، وذلك حتى يبنى كل شىء بناء إيمانيا سليما حتى لا نفاجأ بأن رجلا تزوج امرأة وعاشوا وأنجبوا ثم يتبين بعد فوات الأوان أنهم رضعوا على بعض فيحدث إشكال شرعى

ومدنى واجتماعى ناشئ من أننا لم نُعِد لمنهجنا الإيمانى ما أعددناه لمنهجنا المادى .

معاملة الزوجـة

س - ما هو الأسلوب الأمثل الذى يجب أن يتعامل به الزوج مع زوجته ؟

ج - يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1] .

الحق سبحانه ينبه الزوج إلى أن يكون رقيقًا بزوجته ، يعاملها بالمعروف حتى لو كرهها ، ودقة التعبير القرآنى هنا تدل على أن هذا كلام رب ، لم يقل عاملوهن بالود ، لأن الود معاملة تأتى عن حب ، ولكنه قال عاشرها بالمعروف ولو لم تحبها وكرهتها .

والمعاملة بالمعروف تأتى لمن لم تحب حتى ولو كان كافرًا ، ألم يعاتب الله خليله إبراهيم فى رجل لم يقم بواجب ضيافته لأنه كافر ؟ قال له الله : أنا ربهم جميعًا مؤمنهم وكافرهم ، أنا احتملته أربعين سنة وأنت لا تحتمله ليلة واحدة وتريد منه أن يغير دينه لمجرد أنك ستضيفه لليلة وأنا أربعين سنة أرزقه ، فجرى إبراهيم ليلحق بالرجل

---

(١) سورة النساء : الآية ١٩ .

الذى قال له : ما الذى جعلك تتغير وتأتينى بعد ما كرهت استضافتى ؟ .

قال له خليل الله إبراهيم : الرب عاتبنى فيك ، فقال الرجل : أنت رسول الله وربك يعاتبك من أجلى ؟ إن ربًّا يعاتب أحبابه فى أعدائه لهو رب جدير بالإيمان ، فترى أن تحول معاملة إبراهيم للكافر بالمعروف رغم كفره قد تحولت إلى خير كثير وآمن الكافر الذى كره خليل الله استضافته لكفره ، لهذا فإن قيام البيت على المودة والحب ، إن زال هذا لأى سبب فهل معناه أن البيت « يتفركش » ؟ لا .

الحق ينادى رب الأسرة ويقول له : يا رجل عاشر زوجتك بالمعروف وإن كرهتها ، لأن مسألة الكراهية هذه يمكن السبب الوحيد فيها هو ظاهر المرأة ، شكلها لم يعد يعجبك ويثير غريزتك، فليس هذا شرطًا لأن تحب زوجتك .

وقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر يقول له : إنه يكره امرأته ويريد أن يطلقها .

فقال له : إن لم تبن البيوت على الحب فأين القيم ؟ إنك إن كرهتها فى ناحية فإن ذلك يجعلها تحسن فى عدة مواضع وزوايا أخرى لتعوض زاوية أو زوايا ناقصة فيها ، لأن ربنا لا يريد أنك تكون أمام امرأة « مانيكان » عندما تكون هادئًا تحركك ، لا ليس هذا هو

مطلوب المرأة للرجل ، وإنما مطلوبها أن تحصنه ويحصنها ويعفها وتعفه عن النظر إلى محارم الله ، واعلم أيها الرجل أن الله وزع أسباب فضله على خلقه ، هذه امرأة أعطاها الله أمانة ، وأخرى أعطاها شطارة ، وثالثة أعطاها جمالا ، وهكذا إذا أردت الحكم الصحيح المنصف فخذ كل الزوايا لأنه لا توجد امرأة مجمع فضائل ، وحين ترى أن كرهك بذاتك ، فإن كرهتموهن أنتم ، يقول الحق : ﴿فَعَسَى أن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ الله هو الذى يجعل الخير لك في شيء تكرهه ، فاطمئن أيها الرجل أن المرأة التى كرهت فيها شيئًا لا يتعلق بدينها فإن الله يجعل لك فى أشياء أخرى كثيرة خيرًا كثيرًا .

والحق سبحانه يجعل قضية الخير فيما تكرهه هنا فى بقاء الأسرة ، ولكنه يجعلها قضية عامة فى كل شيء تكرهه ، وكم من حوادث أوضح مجراها أنه كم من أشياء كرهها الإنسان وجعل الله فيها الخير ، وكم من أشياء أحبها الإنسان وتبين أن فيها الشر ، مما يوضح أن حكم الإنسان على الأشياء ليس صائبًا ، فأنت تحكم على شيء بالكراهية ويكون محبوبًا ، فقَدِر أن الكراهية منك ولكن تذكر جعل الله للخير منه يتغلب على جانب الكراهية منك ، لأن خصال الخير – ونحن نتكلم عن الزوجة – يمكن أغلبها تكون موجودة فى نساء ليس لهن حظ من الحسن والجمال ، لأن الجميلة

تعتمد على جمالها فقط ، والأخرى تحاول تعويض عدم حظها من الجمال بأن تكون مدبرة أمينة مبتسمة مطيعة تحب أهلك ، تدبر لنفسها رصيدًا استبقائيا عند زوجها كى تعيش ، فلا تأخذ فقط زاوية الجمال الحسى كمقياس للمرأة ولكن انظر إلى زاوية الجمال الخلقى ، لأن الجمال الحسى الذى « يلخبط » الرجال ، عمره قصير ، وقد يكون سبب شقاء الرجل ، والحق ينبهنا بقوله : ﴿الْخبيثَاتُ لِلْخَبيثينَ وَالْخَبيثُونَ لِلْخَبيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبينَ والطَّيِّبُونَ للطَّيِّبَاتِ﴾[1] أى على الرجل الصالح أن يختار المرأة الصالحة ، والخبيث يتزوج الخبيثة لأنها تريحه ، يعنى الكفاءة هنا مطلوبة ، لأن لما رجل طيب يتزوج امرأة خبيثة فسوف تتعبه ، إنما خبيثة مع خبيث قال لها كذا ، تقول له كذا ، إن لم تختش من الفضيحة هو لا يختشى ، ومن هنا يأتى التوازن ، أما إن وقع الرجل الطيب مع امرأة خبيثة فليصبر عليها وليعطه الله خيرها ، وإن تزوجت امرأة صالحة رجلا خبيثًا وصبرت عليه فإن الله يعطيها خيره ، ولئن اتفق الصلاح والجمال فهذا خير أنعم الله به عليك ، تشكره عليه .

س - من المعروف أن المرأة يجب أن تتزين لزوجها ،فهل يجب ذلك على الرجل أيضًا ؟ .

---

(١) سورة النور : الآية ٢٦ .

ج – يقول ﷺ : « اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا فإن بنى إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » ، لماذا ؟ لأن أزواجهن أهملنهن . فإهمالك زوجتك يجعل لها تطلعات ، وإهمالك أيتها المرأة لزوجك يجعل له تطلعات إلى غيرك .

جاءت امرأة تشكو لعمر أن زوجها لا يأتى ناحيتها ، فجاء بزوجها، وكان مع « عمر » صاحب له فقال له : افتنا ، فقال : يا هذا سنفرض أنك قد تزوجت أربعة فلها بعد كل ثلاث ليال ، الليلة الرابعة ، ولنا فى رسول الله أسوة حسنة .

« جاء رسول الله ﷺ ليلة ونام ، وكانت ليلة عائشة ، قالت عائشة : فنام بجوارى حتى مس جلدى جلده ثم قال : يا عائشة :هل تأذنين لى الليلة فى عبادة ربى ؟ فقالت :يا رسول الله أنا أحب قربك وأحب هواك ، قد أذنت لك » ، الرسول يعطينا المثل كيف نعامل أهلنا ، يستأذن عائشة لأن لها عليه حقوقًا حتى لو تعارض هذا مع العبادة فى غير الفروض ، واستئذان الرسول لعائشة فى عبادة ربه فى ليلتها درس للأزواج أن يعاملوا زوجاتهم معاملة حسنة حتى لا يجعلوا لهن تطلعات ، ولكننا نرى رجالا لا يستأذنون زوجاتهم حتى فى سهرات المعصية ، الزوج يسهر فى القهوة أو مع أصحابه ، وهذا مما يفسد البيوت ، فبدل أن تجلس

فى القهوة اجلس مع أهلك : زوجتك وأولادك أشبعهم حتى يطمئنوا أنك معهم ، هذا حق أهلك عليك ، وعلى المرأة أن تكون على ذكاء فتتنبه إلى أى تغير يحدث فى معاملة زوجها لها ، يقول الحق تبارك وتعالى :﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحا والصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنَ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1] الله ينبه المرأة أن تكون ذكية فتستنبط من ملامح زوجها أى نشوز أو تغير فى المعاملة ، أو إعراض عنها كأن لا يحدثها ويؤنسها ولكنه يعطى لها حقوقها ، فعلى المرأة أن تعالج المسألة قبل أن تتطور فترى إن كان تغير زوجها منها راجعًا لأسباب هى السبب فيها فتراجع نفسها لتزيل أسباب التغير وتستمر حياة البيت طبيعية كما كانت ، وإن لم يكن السبب منها فلتخاطب زوجها بلطف ولتحاول أن تعرف منه ما يضايقه .

س - حين حدوث خلافات ، هل ينبغى اللجوء إلى طرف ثالث يوثق به لحلها ؟

ج – على المرأة والرجل ألا يصعدا خلافاتهما خارج جدران منزلهما ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا والصُّلْحُ

(١) سورة النساء : آية ١٢٨ .

خَيْرٌ﴾ لأن أية مشكلة لا تتعدى الرجل والمرأة يمكن حلها ، أما الذى يجعل المشكلة صعبة فهو تدخل الآخرين : الأم أو الأخت أو الأب أو الأقارب ، لأن أى واحد غير الزوج والزوجة لا يوجد عنده دافع لحل المشكلة ، لأن الرجل والمرأة بينهما الدوافع للحل ، يوجد بينهما سيال عاطفى يجعلها تحن له ويحن لها .

لكن دخول أطراف أخرى يجعل للزوج والزوجة كبرياء وعناد لا يمكن معهما أن يتم الصلح ما دام غير الزوج والزوجة قد تدخل فيما بينهما من مشاكل كان يمكن حلها لو تصافيا فيما بينهما ، بأن يتنازل كل منهما عن الشح الذى فيهما ، والعناد الذى يجعل كل منهما يتنازل عن مقايسه للآخر ، فلا شىء إن صالحت الزوجة زوجها أو هو صالحها ، « فخيركم خيركم لأهله » ، كما قال ﷺ .

الفصل الثانى

شباب الجد واللعب

(فلو حكم الماتْش غِلِطْ غلطة الناس يأكلوه ، إنما لما المسئولين عن مصالح الناس فى شركة أو مصلحة يغلطوا ألف غلطة لا أحد يتكلم) .

الشيخ الشعراوى

س - ما هو الطريق لتنشئة شباب صالح ؟

ج – يقول الشيخ الشعراوى : اعتنى الإسلام بالشباب قبل أن يوجد هذا الشباب ، لذا تجد أنه قبل أن يفكر الإنسان فى الزواج ، تجد الإسلام يقول له « تخيروا لنطفكم » . فإذا تخيرت لنطفتك ، واختار الرجل ذات الدين ، ومن ناحية أخرى إذا اختارت المرأة ذا الدين ، كانت النواة للأسرة مقامة على أساس سليم ومتين .

إذن الخلية التى سينتج منها الولد ، تكون خلية سليمة ، فينشأ الولد فى بيئة طيبة ، يفتح عينيه وأذنيه وكل حواسه ليستقبل عالما هادئًا وديعًا لا ضجيج فيه ، وفيه سلام ، فينشأ هادئ الذرات وليس مقلقل الذرات ، فحين يطلب منا المنهج الإسلامى أن نختار ذات الدين ، ويطلب من ذات الدين أن تختار ذا الدين ، فهذا إقامة لأرضية صالحة لأسرة طيبة ومناخ سليم ، بعد ذلك تأتى مرحلة أخرى وهى « العملية » التى أقيمت من أجلها الأسرة والتى سوف تتسبب فى وجود الشباب الذى عليه تقام الأسر فى المستقبل ، تجد أن الإسلام يوضح أنه يجب على الرجل حين يأتى أهله : « أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم حتى ينشأ النشء سليما ، ويقول : اللّهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما وهبتنى » .

هذا فى العملية الإخصابية ، وعندما تصبح المرأة حاملا ، يراعى الإسلام ذلك ، ويرفع عنها الصيام ، فإذا وضعت حملها

يرشدك الإسلام ويقول لك : اختر للمولود ، الاسم « الحلو » ، الاسم الذى لا يتندر الناس عليه به ولا يُسب به ، كذلك يلزم الوالدة بإرضاع ولدها ، وإذا كانت لا ترضع ، تخصص للولد مرضعًا ، وأهم شيء يحرص الإسلام عليه هو ضمان طهارة النسل ، وأن يعلم كل أب أن الولد ولده ، فتنشأ الأسرة على الطهر ، ولا تجعل أحدًا يختلط بها حتى لا يساوره أى شك .

إذن لضمان طهارة النسل لابد من تحفظات على المرأة أن لا يراها أحد ، وتقيم فى البيت ، حتى تصبح حركة الحياة للرجل ، وتصبح للحيــاة لذة ، ولا تنشغل الأم عن الولد لأنه أطــول الكائنات طفولة وطفولته تمتد حتى ١٤ سنة ، وهذه فترة طفولة طويلة .

ويرفع الشيخ الشعراوى يده عاليًا ويقول : لا تقل لى أخصص للولد خادمة لترعاه ، أقول لك : إنك لن تستطيع أن تحصل للولد على قلب أم ، الولد يريد أمًّا ، لا يقول أحد لها يا ماما ، إلا هو فقط ، ولا تقل لى أجعل للولد حاضنة ، يعنى واحدة تربى « ١ » ، أو١٥ أو٢٠ ولدًا . لا . لا . الولد يريد أمًّا مخصوصة له ولا يريد أن يشاركه فيها أحد .

لا تربية للشباب

ويعتدل الشيخ فى مجلسه ثم يستطرد قائلا : بعد ذلك يطلب منك الإسلام أن تربى ولدك « سبعًا » وأن تؤدبه « سبعًا » ، وأن تصاحبه « سبعًا » ، تعال معى نرى (سبعة التربية) ، معناها أن تربى جسمه وتربى معانيه ، إن غلط تصوب له خطأه برحمة ورفق .

ثم نأتى إلى (السبعة الأخرى) « التأديب » ، إن عمل غير الذى قلت له عليه تضربه على ذلك وتؤدبه .

بعد ذلك نأتى إلى (السبعة المخيفة) ، أى من سن ١٤ « سن المراهقة » اجعله صاحبًا لك تعتنى به ، دائما معك فى تحركاتك ، نقول له اذهب هنا . اقرأ هذا . افعل هذا ، كل هذا تحت إشرافك ، إذا ألزمته بذلك تقلل عليه فرصة التقائه بقرائن السوء ، أى تجعله دائما تحت نظرك ، فإذا تجاوز الولد سن الواحدة والعشرين كنت مطمئنًا أنه لن ينحرف أبدًا ، وإنى لأعجب لمن ينادى بتربية الشباب وهم فى سن العشرين ، نقول له : لا – لا – لقد تأخرت ،لابد أن تربى سبعًا ، وتؤدب سبعًا ، وتصاحب سبعًا .

إذن فكيف أربى الشباب بعد ما وجدت له الذاتية ؟ ! لابد من أخذ المسائل من أولها ، أنا أربى الولد حين لا توجد له عقلية « ماكرة » مدبرة مبررة ، فأغرس فيه القيم من الأول ،

وفى فترة المصاحبة أرقب سلوكه وليس لأغرس سلوكًا ، إن الخطأ الذى نرتكبه هو أننا نترك الشباب فى فترة التربية وفى فترة التأديب ثم نأتى بعد ذلك لنقول تعال نربى .

قوانين الجد واللعب

س - ما هى نصيحتك للشباب كى يشغلوا وقت فراغهم ؟

ج -الشعراوى : لا يوجد شىء اسمه وقت فراغ إلا عند غير المؤمن، المؤمن لا يوجد عنده فراغ أبدًا ، لأنه يكون بين أمرين ، أمر حركة حياته ، وأمر شحن طاقته التى تمده بقوته التى تعينه على أمر حركة حياته ، وقد صور الحق سبحانه ذلك فى قوله : ﴿ يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾[١] إذن فقد أخرج الحق المؤمن من حركة حياته إلى العبادة ، ثم يقول : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ ﴾[٢] ، العودة مرة أخرى إلى حركة الحياة . إذن المؤمن لا يوجد عنده وقت فراغ .

س - ولا حتى لممارسة بعض الرياضات ؟

---

(١) (٢) سورة الجمعة : الآيتان : ٩ – ١٠ .

ج – **الشعراوى** : الرياضة التى تؤدى لذاتها فقط ، أما التى يقصد بها تضييع الوقت ما حاجتنا إليها إذا كانت مجرد لون من ألوان اللعب ، إلى متى سنظل نلعب ، ولكن الرياضة التى ظاهرها لعب ولكنها تؤدى إلى غاية مطلوبة فيما بعد ، فهى ما دعا إليه الإسلام حينما طلب أن نعلم أولادنا السباحة والرماية وركوب الخيل ، فهى نوع من الرياضة يتم الاستفادة بها فى أمور مطلوبة إيمانيًا كالجهاد فى سبيل الله ، وللعب مكانه ، وللجد مكانه ، والمشكلة تنشأ من نقل قوانين اللعب مكان قوانين الجد ، وعندما يحدث هذا يكون لهوًا ، فالطفل لما نأتى له باللعبة يكون ذلك لاستغلال طاقته قبل أن يكون مكلفًا ، لكن عندما يكبر ويصبح مكلفًا يجب أن يتوقف اللعب ، لأن اللعب فى الطفولة لا يشغلنى عن جد ، إنما اللهو فى الكبر ينقلنى من الجد لقوانين اللعب ، فتجد مثلاً : (فى الكرة) ينقلوا قوانين الجد إلى قوانين اللعب ، فلو (حكم الماتش) غلط غلطة ،الناس يأكلوه ، إنما لما المسئولين عن مصالح الناس فى شركة أو مصلحة يغلطوا ألف غلطة لا أحد يتكلم ، تركتم الجد بلا قوانين ، واللعب جعلتم له قوانين تطبقونها بجد وصرامة ، ومن هنا ينشأ الفساد .

إن كل شىء صالح إن لم تزده صلاحًا فلا تأتى فيه بفساد ، ولذلك تجد أن ما لا دخل للإنسان فيه يسير بنظام وبمنتهى الدقة

والاستقامة ، لأن الكونيات العليا لا دخل للإنسان فيها كالهواء والريح والأفلاك ، ولكن ما للإنسان دخل فيه تجده يفسد نتيجة أهواء البشر ، ومثلا لو ترك الحق (الهواء) لتحكم الإنسان ، فسيحتكره البعض ويمنعونه عن البعض الآخر ، وحتى يرضى المحتكرون تكون الناس قد ماتت ، لذلك فمن حكمة الحق أنه لم يجعل كل شيء فى استطاعة الإنسان التحكم فيه ، لأن الإنسان ابن أغيار . ومع أن الحق سخر للإنسان كل ماعداه من الأجناس المخلوقة إلا أنه علمه أن هذه الأشياء مسخرة له بتسخير قدرة الله ، بدليل أن (الجمل) و (الفيل) طوع الإنسان ، إنما انظر (للبرغوت) هل تستطيع الإمساك به ؟ .

ذلك ليلفتك الحق إلى أنك محدود القدرة حتى لا يأخذك الغرور وينسيك قدرة خالقك وإلا هل يستطيع أحد ألا يمرض أو يتأبى على الموت ؟ صحيح أن الله ترك الكافر ليكفر ، ولكنه ليس كافرًا رغمًا عن الحق ، وإنما هو كافر جعله الله مختارًا لأن يكفر أو يؤمن .

كذلك فإن الحق جعل الأسباب تنفعل لمن ينفعل معها مؤمنًا كان أو كافرًا ، ولكنه يلفت الجميع إلى أن الأسباب ليست هى كل شيء ، فيستوى الزرع ثم يجعله الله حطامًا ، فالمسخر لك مقهور لقهرية الجبار ، فهو وإن أعطى الأسباب للمؤمن والكافر إلا أنه

احتفظ لنفسه بطلاقة القدرة ، فتجد بلادًا فيها أمطارًا ونعمة ، ثم يأتى الجفاف ، حتى لا يغتر الإنسان برتابة النعمة .

فكأن الحق يريد أن يقول للإنسان ، إنه لم يخلق الأسباب وتركها ، وإنما يخرق الله كل الأسباب والنواميس ليقول للإنسان (يد قدرتى فى كونى لا أحد يأخذها منى)، وبقدر ما يؤدى الإنسان واجبات ربه يصرف عنه مصارف سوء كثيرة، فتجد مثلا واحدًا عنده مساحة أرض محدودة ويزرعها، وآخر عنده مساحة واسعة فتأتى له «الدودة» وتقضى على محصوله ، بينما صاحب الأرض المحدودة ينتج محصولاً أكثر من صاحب الأرض الواسعة، وتبحث عن السبب فتجد أن صاحب الأرض المحدودة مداوم على إخراج الزكاة عن أرضه بينما الآخر لايزكى.

س - ما هى دلالات تَدَين الشباب فى عصرنا ؟

ج - أريدك أن تذهب إلى المساجد ، فستجد أن جمهرة من فيها هم من الشباب ، والذين ربوا فى عهد كان من حظه أن يبعد الناس عن دين الله .

وتجد استتار الفتاة فى زيها الإسلامى ظاهرة لم تكن موجودة من قبل ،ولأن الناس تشاهد كل يوم مصارع البشر الذين يريدون السيطرة بالجبروت والقهر على الناس ويسمعون الكذب هنا وهناك ، فساء ظنهم فى كل ما كان من صنع البشر لقيادة البشر .

حكم اللحية والزى

س - ما تعليق فضيلتكم على ربط بعض الشباب المتدين بين الإسلام وزى معين بذاته ، وهل أن المسلم لا يكون مكتمل الإسلام إلا إذا أطلق لحيته كما كان يفعل الرسول ﷺ ، وأن من لا يفعل ذلك لا يكون على السنة ؟ .

ج -لكى تعرف الإجابة انظر إلى الشىء أولاً واعرف ما هو حكمه .

والأحكام هى : إما أن يكون الحكم فرضًا أو سنة أو مندوبًا أو مكروهًا أو حرامًا - هذه هى كل الأحكام ، وعليك أن تبحث عن الأصل فيها . هناك مَنْ يقولون : إن اللحية « سنة » وأنا أقول لهم : لا - هى ليست سنة ، لأن هناك فرقًا بين سنية الدليل وسنية الحكم - السنة فى الحكم إن فعلتها تثاب عليها ، وإن لم تفعلها لا تعاقب ، لكن السنة فى الدليل تكون مفروضة .

وأعطيك مثلا، بسؤال أسأله لك: هل صلاة المغرب فرض أم سنة ؟ .

قلت لفضيلته : إن صلاة المغرب فرض .

فقال الشيخ الشعراوى : إنما ثبتت بالسنة ، وهذه هى سنية الدليل ، فقد يكون فرضًا ولكن دليله من السـنة ، والدليل

من السنة هو دليل من الكتاب ، لأن الله قال فى كتابه العزيز : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[1] ، إذن هناك فرق بين سنية الدليل، وسنية الحكم، ولكن الناس تخلط بين الاثنين[2]، وإذا تحدثنا عن الزى «الإسلامى» أقول لك: لابد أن تستر عورتك، والمرأة تستر عورتها.

---

(١) سورة الحشر :الآية ٧ .

(٢) ويوضح رجال الأزهر الرأى فى هذا الموضوع . يقول د . عبد الجليل شلبى ...

تربية اللحية سنة ، ومن حلقها فليس بآثم ولا ذنب عليه ، ولكنها شعار عربى إسلامى ، فمن حلقها فقد ترك هذا الشعار ولا إثم عليه .

وعلماء الفقه المالكى يحبون من جنود المحاربين أن يحلقوا لحاهم حتى يظهروا أمام الأعداء فى مظهر الشباب .

وعلماء الحنفية يبيحون إطلاقها ويعتبرونها أمرًا مباحًا .

والحكم فى ذلك كله الحديث الشريف : « احفوا الشوارب واعفوا اللحى) فهذا الأمر ليس أمرًا إجباريًا يترتب عليه عقوبة ، ولكنه أمر إرشادى ، وإرشاد لمظهر قومى ، على أن كلمة إحفاء تعنى الحلق النهائى حتى لا يبقى شعر أصلا ، وليس ذلك مستحسن فى الشرع ، وإنما المستحسن هو تقصير شعر الشارب حتى يكون قريبًا من الإحفاء ، وليس الإحفاء نفسه .

ويرى د . السيد رزق الطويل أن إطلاق اللحية ليس من سنة العبادات ، وإنما هو من سنة العادات ، ويضعونه فى دائرة الأمور المستحسنة من النبى ﷺ وليس من العبادات كنتف الإبط وختان الصبى وإطلاق اللحية .

ومن لا يطلق اللحية لا يقال بفسقه واثمه ، وإنما يعاتب عليها من الرسول ﷺ .

والستر له ثلاثة أشياء :
هو أن لا يلفت النظر إلى عورة .
وأن لا يكون كاشفًا .
وأن لا يكون واصفًا .

قد يكون ساترًا إلا أنه واصف ، مثلما نرى بعض النساء ترتدين « فستانًا » ساترًا ولكنه ضيق ، فيصف ما تحته ، فضلا عن أنهن يضعن على بعض أماكن الفستان بعض الرسومات والتطريز التى تلفت النظر ، أو يكون ساترًا ولكنه شفاف كاشف ، كالفستان الواسع الذى ترتديه بعضهن ، ولكن لونه ملفت للنظر وشفاف كاشف لما تحته – إذن يجب على المرأة أن تلبس الشىء الساتر لا واصفًا ولا كاشفًا ولا ملفتًا .

مسألة النقاب حرية شخصية

س - هناك خلاف يثور بين بعض الناس والبعض الآخر حول ما يجب أن يظهر من المرأة ،فريق يرى كشف الوجه واليدين ، وآخر يرى ألا يكشف شىء إلا العينين من خلال ما يعرف بالنقاب – فما هو رأى الدين فى هذه المسألة ؟ .

ج – أقول لك وللناس : إنه لو كان هناك أمر بأن المرأة تغطى الوجه والكفين ، ما كان هناك أمر من الله بأن نغض

البصر، إذن غض البصر معناه ، أن هناك أشياء نراها ، وإذا دققنا فى حكم النقاب ، سنجد أنه غير « مفروض » وغير « مرفوض » فمسألة النقاب هى حرية شخصية ، إذا كانت هناك من تريد ارتداء النقاب فهى حرة ، ثم إنك أنت حريص ليه على أن تشاهد وجهها ؟

والمرأة أمينة على ذلك إذا رأت أن جمالها زائد ويلفت النظر ، وجب عليها هنا أن تلبس النقاب ، وقد تكون المرأة على خلق ومستقيمة جدًّا ، ولكن هل الذى سيراها سيغض البصر أم لا ؟ .

الفصل الثالث

أغنياء متسولون
وفقراء أغنياء

(إن الذين يأخذون مالاً بغير حق من خلق الله بطريق الرشوة أو السرقة أو الاختلاس ، لو نظرت إلى مصاريف الأشياء التى أنفقوا هذه الأموال فيها لوجدت أن المصاريف أخذت الحرام وما أخذوه من حلال أيضًا) .

الشيخ الشعراوى

أبو حنيفة والمال والشيطان

س - أليس للشيطان دخل في نسيان الإنسان لشكر النعمة وتذكر المُنعم ؟

ج - يقول الحق :﴿ وَإِمَّا يَنْزَغنك مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاستَعِذْ بِاللهِ ﴾[1] عليك أن تتنبه إلى أن الشيطان يأتي بخاطر لك ليشغلك عن حضرة ربك ، لذلك استعذ بالله منه ، قلها بانفعال ليفهم الشيطان أنك « فقسته » وقلها دائمًا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

وإن لم تقلها واتبعت إغواء الشيطان لك يجد حجته عليك يوم القيامة: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾[2] .

والسلطان هو القوة القاهرة على أن تجبرك أن تفعل وأنت لا تريد أن تفعل ، والسلطان هو أيضا الحجة المقنعة ، والشيطان

---

(١) سورة فصلت : الآية ٣٦ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٢٢ .

يوم الحساب يقول لمن أغواهم لم يكن لى سلطان القوة القاهرة ،ولا القوة القاهرة ، ولا سلطان الحجة المقنعة ، إلا أن دعوتكم وفتحت لكم باب الغواية فاستجبتم لى ودخلتم فيه ، فلا يلومن أحد إلا نفسه .

ويروى أن أبا حنيفة ، جاء له رجل وقال له ، إنه كان عنده مال ووضعه فى باطن الأرض فى مكان نسى أين هو ، فقال له الإمام أبو حنيفة : وكيف أدلك على مكانه ، إن هذا ليس من العلم الدينى الذى يمكننى أن افتيك فيه ، ولكنى احتال لك ، فإذا جاء الليل قم فتوضأ وضوء القربى إلى الله وقف بين يدى ربك مصليا لعل الله يرسل لك خاطرا لتتذكر أين وضعت مالك . وذهب الرجل ثم عاد يقول لأبى حنيفة :لقد تذكرت المكان وأنا فى الصلاة ، فقال له أبو حنيفة :

لقد علمت أن الشيطان لا يجعلك تتم ليلتك مع ربك ، فأتم ليلتك شكرًا لله .

س - ما هو جزاء الأغنياء ممن يبخلون بأموالهم ؟ .

ج - يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول :

يقول الحق سبحانه : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هوَ شَرٌّ لَّهُم سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلوا بِهِ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1] .

يعيب الحق تبارك وتعالى على الأغنياء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ويحسبون أن الشح والبخل إنما هو خير لهم ، وينسون أنهم دخلوا الدنيا بغير جيوب وسيخرجون منها أيضًا بغير جيوب ، لأن أحدًا لم يبتكر الرزق أو يأتى به من وراء ظهر الله ، فمثلا لا أحد مهما كانت قدرته يستطيع أن يخلق أرضًا وبذرة وماء ، ولكن الإنسان يبتكر من رزق الله الموجود بحركته التى منحه الله القدرة عليها ، فهل يعرف الإنسان الذى يحمل الفأس كم عضلة تتحرك ليرفع الفأس وكم عضلة تتحرك لينزل الفأس ؟ وهل يعرف الإنسان أن هذا الفأس الذى بيده مصنوع من الحديد الذى خلقه الله ، ويد الفأس الخشبية من الشجر الذى أنبته الله ؟ .

إذن فأنت أيها الإنسان مضارب فى كون الله بعقلك المفكر الذى خلقه الله لك ، وبجوارحك المنفعلة مع ما خلق الله فى كونه ، فلم تأت أنت بشىء من اختراعك ليس له أصل مما خلق الله ، فكل ما أنت فيه هو من فضل الله فأعطه حقه الذى فرضه عليك .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٠

إن كنت صاحب أرض ترويها بماء السماء من المطر فحق الله عليك « العشر » ، أما إن كنت ترويها بواسطة « طنبور وآلات » فحق الله عليك « نصف العشر » ، وإذا كنت تاجرًا فحق الله عليك اثنين ونصف فى المائة ، والله لا يأخذ ذلك منك له ، وإنما يأخذه لأخيك الذى لا يملك ، وهذا تطمين لك لأغيار الله فيك ، فأنت اليوم تملك وغدًا لا تملك .

أما هؤلاء الذين يبخلون ويحسبون البخل فضيلة ، ويكدسون الأموال فإن الله يتوعدهم بأنهم ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ لأنهم منعوا حق الله فتأتى لهم أموالهم وتتمثل لهم على شكل (ثعبان أقرع) يطوق رقبتهم فيكون مالهم وبالاً عليهم وحسرة وندمًا : ﴿ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [1] .

والله الذى أعطى هو الذى يمنع ويأخذ ، فله ميراث السموات والأرض ، يوزع نعمه كما يشاء على من يشاء ، وينزعها ممن يشاء فهو القائل : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ

(١) سورة الشعراء : الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، فبيده الأمر سبحانه، ولايحسبن غنى أوصاحب ثراء أنه قد ضمن غناه وثراءه إلى الأبد، أو أنه سيستمتع بماله وهو لايؤدى حق الله عليه، لأن الله قد يأخذ منه ماله آلام مرض فى نفسه أوأهله أو من هم أقرب النـــاس إليه .

وقد رأينا من قصص الحياة التى نعيشها كثيرين ممن أنعم الله عليهم بالثراء العريض ومنعوا حق الله ، فأنزل الله بهم أمراضًا لا علاج لها ، وأمراضًا تحرمهم حتى الاستمتاع بأقل متاع فى الدنيا ، ويبقى نفسه فى أكلة « فول » وهو ممنوع منها بأمر الطبيب ، لأن ذلك يضر بعلاجه ، فهو قدر الله ، ليعتبر كل غنى وثرى منع حق الله فى أمواله ، لأنه قد يدلس البشر على البشر ويخدعونهم ، كما نرى واحدًا يتهرب من الضرائب وعامل دفترين ، واحد فيه حسابه الحقيقى وواحد فيه حساب غلط غشًا وتدليسًا ، ويبقى عنده ويقول ماعنديش ، ولكن ﴿الله بما تعملون خبير﴾ .

إذا هربت من البشر فكيف يمكن لك أن تهرب من الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، ولكن السطحيين الغافلين يحسبون أنهم يمكن أن يكونوا أذكياء على

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٢٦ .

الله مثل « فنحاص بن عزوره » اليهودى الذى بعث الرسول ﷺ ، أبو بكر إليه وطلب منه أن يؤدى حق الإسلام عليه، الذى أمنه على نفسه وماله وحريته .

وإذا كان المسلمون يؤخذ منهم الزكاة فعلى المحتمين بحمى الإسلام واجبات والتزامات ، فطلب أبو بكر من « فنحاص » هذا ، بعض المال وقال له (أقرضوا الله قرضًا حسنًا) ، فانظروا إلى هذه العقلية التى رد بها « فنحاص » ، لقد قال « الله يقترض منا ؟ إذن فالله فقير » . وقد سمع الله هذا القول وسجله فى قرآنه فقال الحق : ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[1] وهذا الذى قال ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ لم يفطن إلى سر التعبير الإلهى الجميل :﴿من ذا الَّذِى يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[2]، فالحق هو الذى خلق الكون وقدر فى الأرض الأرزاق والأقوات ، ولكنه احترم حركتك فى التملك ولم يقل لك إن الرزق الذى رزقتك إياه ملكى ، حتى يغرى المتحرك بزيادة الحركة ويحمل غير المتحرك على الحركة ، فالحركة لك .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨١ .
(٢) سورة الحديد : الآية ١١ .

ولما أقول لك أعطنى ، سأحترم عقلك وفكرك وطاقتك التى تحركت بها وأقول لك أقرضنى لأخيك غير القادر حتى أقترض لك حينما لا تكون قادرًا ، ونحن البشر نضطر إلى مثل هذا الموقف ، فنرى الأب عندما لا يكون فى استطاعته شراء شيء يقول لأولاده : سلفونى ما ادخرتموه فى حصالاتكم كسلفة وسأعطيها لكم بعد ذلك مضاعفة أكثر ، يقول لهم « سلفونى » رغم أن المال الذى معهم أخذوه منه ولكنه يحترم حقهم فى التملك .

كذلك يقول الحق للبشر الأغنياء أقرضونى لإخوانكم الفقراء غير القادرين وما فى ذلك من تأمين لكم حينما لا تكونوا قادرين ، فإنه بذلك يشيع فى المجتمع حبًّا ومودة وتضامنًا ، فلا تجد فقيرًا يحقد على غنى لأنه يعطيه ، بل سيدعو له بالبركة والزيادة ، هذا فضلا عن أن إعطاء حق الله فى مال الأغنياء يطهر نفوسهم من الشح والبخل ، فيكونوا من المفلحين السعداء كما يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] ، ثم يرتقى الحق بعباده فيقول فى الآية نفسها : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [2] أى أن

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩ .
(٢) سورة الحشر : الآية ٩ .

هناك نوع آخر من الناس يفضلون ويؤثرون غيرهم على أنفسهم رغم احتياجهم .

ويروى الصحابى الجليل أبو هريرة عن النبى ﷺ أن رجلا فقيرًا جاء إلى الرسول يسأله طعامًا ولم يكن عند رسول الله فى بيوت زوجاته إلا الماء فقال لأصحابه : « من يضيف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ،وأخذ ضيفه وذهب به إلى بيته ولم يكن به غير قوت عياله فقال لامرأته : علليهم بشىء ، أشغليهم بأى حاجة وإذا أرادوا أن يأكلوا فنوميهم وإذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أننا نأكل ، وتظاهر الرجل وامرأته بالأكل فى الظلام وأكل الضيف حتى شبع ، وباتا وأولادهما جوعى ، فلما أصبح الغد ورآهما رسول الله قال : لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة » ، هذه هى النفس المؤمنة المطمئنة إلى عطاء الله الذى لا ينفد أبدًا فتنفق على ذوى الحاجة من أجل يوم ينفق عليها فيه .

والحق تبارك وتعالى فى حديثه القدسى يقول : « أنفق يا ابن آدم ينفق عليك » ، ولو أنفق كل غنى على فقراء أسرته ، ومن تبقى من الفقراء ينفق عليهم من أموال الزكاة ، ما بقى هناك جائع أو فقير أو محتاج أو متسول فى المجتمع الإسلامى .

س - ما رأى الدين فيمن يستحلون لأنفسهم أموال غيرهم بغير حق ؟

ج - إذا تذكر الإنسان مطلوب الله عنده إذا أخذته الحياة بالغفلة فيرجع إلى الله متذكرًا أن متعة المعصية لا تقاس بغضب الله وأنه إن أفلت من عقاب الدنيا فلن يفلت من عقاب الله ، فإنه لن يعصى الله أبدًا ، لأن الحق يعامل خلقه بسنة كونية ، وهى أن من يأخذ غير حقه يحرم من حقه .

ولو قاس الإنسان ما أحله لنفسه مما حرمه الله ، على ما أحله الله لوجد نفسه خاسرًا ، ولو اكتفى بما أحله الله له لكان هو الرابح الكسبان ، وتأمل قول الحق : ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[1] ، فاليهود ظلموا أنفسهم واستحلوا حرمات الله فحرم الله عليهم ما أحله لهم ، فكانوا مثلا يأكلون الدقيق الأبيض ، أما الدقيق « السن » ومخلفات الدقيق الأبيض يعطونه لأتباعهم ، فحرم الله عليهم أكل الدقيق فلا يجدون

(١) سورة النساء : الآية ١٦٠ .

ما يصنعون منه خبزهم ، وستجد أن الظالمين قد حرموا على أنفسهم من حلال دون أن يحرمه أحد عليهم ، فلا يستطيعون لمرض أصابهم أن يأكلوا قطعة لحم أو قطعة حلوى ، لهذا فلا يحسب أحد أنه يستطيع أن يأخذ شيئًا من وراء الله أو من وراء شرع الله لأن الله لن يتركك .

لذلك قلنا ونكرر القول أن الذين يأخذون مالاً بغير حق من خلق الله بطريق الرشـوة أو السرقة أو الاختـلاس ، لو أنك نظرت إلى مصاريف الأشياء التى أنفقوا هذه الأموال فيها لوجدت أن المصاريف أخذت الحرام وما أخذوه من حلال أيضًا ، لأن « من أخذ مالاً من نهاوش[1] أذهبه الله فى نهابر » كما قال الرسول ﷺ .

فالحرام يضيع ويضيع معه الحلال أيضًا ، وفى الحياة نرى دلائل هذا ، فقد كان لناس لنا بهم معرفة ولهم أولاد فى التعليم ، فنرى أحدهم يعطى ابنه خمسة قروش يأخذها قانعًا راضيًا ، وربما بقيت

(١) النَّهَاوش : هو كسبُ المال من غير حِلِّه كما تنهش الحية من ههنا وههنا ، والنَّهَابرُ : الحرامُ ، يقول : من اكتسب مالاً من غير حِلِّه أنفقه فى غير طريق الحقِّ ، انظر لسان العرب جـ ٦ مادة نهبر ط دار المعارف .

معه ليوفر مصروف اليوم التالى ، وينجح هذا الابن بتفوق دون حاجة إلى دروس خصوصية ، بينما فى مقابل هذه الصورة نجد رجلا آخر يعطى ابنه عشرة قروش فيلقيها فى وجهه ويقول له : « هى دى هتعمل إيه » وتجده يأخذ دروسًا خصوصية ومضيعًا فلوس أبيه ، لماذا ؟ لأن هذا الأب مصادر أمواله حرام .

وهذا يدل على أن الله لا تأخذه سنة ولا نوم ، فكل واحد يأخذ على قدر إيمانه ، ومن وجد خللا فى حياته فليراجع إيمانه وسيجد أن به خللا ، لأن الله يرى وليس بغافل عما تعملون ، وهو سبحانه يقول فى حديث قدسى : « إن كنتم تعتقدون أنى أراكم فَلِمَ تجعلونى أهون الناظرين إليكم » ؟ فأنت تتخفى خوفًا من عبد مثلك أن يكشفك فيما لا تريد أحد أن يراه ، بينما أنت لا تخاف أن يراك الله وترتكب المعصية وثمنها قليل هين ، فإنك إن سرقت فإنما تسرق رزقك ولو صبرت لجاءك وطرق عليك بابك .

توبة السارق

س - كيف تكون التوبة مثلا لسارق ؟ .

ج - الحق يقول :﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1] .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣٩ .

هكذا يقول الحق أن من تاب وندم وعزم على ألا يعود وأصلح ما أفسده فإن الله يتوب عليه ، وكيف يصلح التائب ما أفسده ؟ إن كان سرق مالا فليعطه لصاحبه ، وإن لم يكن عنده فيأتى لصاحب الشأن ويقول له : لقد حدث منى كذا ولا أقدر على السداد . ولو فعل التائب هذا فإننى أقسم لكم أن صاحب الشيء المسروق سيعفو عنه راضيًا .

ولكن نفرض أنه لا يعرف من سرق منه لأنه سرق واحد فى الأوتوبيس مثلا، فماذا يفعل؟ لو كان سرق محفظته وفيها العنوان يبعث له على عنوان المال المسروق بحواله بريدية ويقول له: سامحنى، والإمضاء... مجهول ، وإذا لم يعرف صاحب الشيء المسروق ، يقول الله أعلم بصاحبه وسأتصدق به فى سبيل الله وثوابه لصاحبه ، فيتوب الله على من تاب لأن الله غفور رحيم شرع التوبة رحمة بالمجتمع، لأن الحق لو أغلق باب التوبة من أول معصية لأصبح العاصى إنسانًا «فاقدًا » يعربد فى المجتمع والناس ، ولكن الله غفور رحيم حتى لا يستشرى الظالمون والمسرفون على أنفسهم، فيتوبون فيقبل الله توبتهم .

وإياك أن تقول إن فلانا لا يستحق المغفرة ولا يستحق الرحمة ، لأنه لا حق لك على الله فهو الذى يغفر وهو الذى يرحم وهو الذى يعذب ، وبأى حق ؟ استمع إلى قوله : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1] ، فهـو يغفر ويرحـم لأن له ملك السموات والأرض ولا حـق لأحد عنده ، لذلك فهو يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء لأنه على كل شيء قدير .

ظواهر خادعة

س - الإنسان غالبًا ما ينظر إلى ظواهر الأشياء وهى غالبًا أيضا ما تكون خادعة .. نرجو أن تضرب لنا أمثلة لذلك من الحياة والدين خاصة فى قضية المواريث ؟

ج -يقول الحق ﴿قُل لا يَستَوِى الخَبِيثُ وَالطيبُ﴾[2] .. لأن طبعهما لا يتفقان وإياك أن تغتر بكميات الأشياء لأن الطيب وإن كان قليلاً فهو أرجى وأربى من الخبيث وإن كثر فلا يغرك ظاهر الأشياء فتقسم لنفسك أو لمن لك بهم صلة، النصيب الأكبر لأن هذا يشيع الخبث فى المجتمع ، ولأنه لا يصح أن تحكم على الأشياء بكميتها ، وإنما أحكم بعمرها وثمرتها الباقية فى النهاية.

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٠٠ .

العلاقة

بين المالك والمستأجر

س - ما المقصود من قول الحق تبارك وتعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[1] .

ج - يخاطب الله عزَّ وجل المؤمنين ويكلفهم بأحكامه ، لأنك مادمت آمنت باختيارك بالله ربًّا عليمًا حكيمًا قادرًا ، فاقبل ما كلفك به دون أن تسأل فى حيثيات التكليف وعلة الحكم ، وإن لم تفعل ولم تقبل تكليف الله أو كسرت حكما له فراجع إيمانك ، وإلا حينما حرم الله لحم الخنزير هل كان على المسلمين ألا يقبلوا الحكم وينتظروا أربعة عشر قرنًا حتى يكشف لنا العلم الحديث عن الدودة الشريطية فى لحم الخنزير والتى تسبب الأمراض ؟ .

إن هذا الاكتشاف يزيد المؤمنين إيمانًا ، ويدل على أن الله يحب عباده الذين آمنوا به ، ولذلك يكلفهم بالخضوع لأحكامه وحدهم

(١) سورة النساء : آية ٢٩ .

دون غيرهم ، لأننا باستعراضنا لكل آيات القرآن الكريم لم نجد أن الله قد كلف كافرًا به أو ألزمه بحكم ، وإنما كل التكاليف والأحكام للذين آمنوا ، وهم الذين يطالبهم الله سبحانه هنا فى هذه الآية ألا يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل سرقة أو رشوة أو اختلاسًا أو غشًا فى السلع وغير ذلك ، مما يدخل فى نطاق أكل مال الغير بالباطل مما ينهانا الحق سبحانه عنه ، ويأمرنا أن يكون كسبنا بالحلال ، ومجالات الإنفاق أيضًا فى الحلال ، لأننا مسئولون أمام الله عن أموالنا كيف اكتسبناها وفى أى شىء أنفقناها ، والله حين يؤكد على حرمة مال الغير يريد أن يحمى حركة الحياة من (البلطجية) الذين يريدون الاستمتاع بثمرة جهد ومشقة عمل الغير ، والله حين يقرر ذلك يغرى المتحرك فى الحياة أن يزيد من حركته وإلا إذا شاع القلق ولم يأمن الناس على أموالهم تعطلت حركة الحياة فى المجتمع ، وأصبح كل واحد لا يعمل إلا على قدر لقمته، بعكس ما لو أصبح كل فرد آمنًا مما يغريه باتساع الحركة فينتفع وينفع المجتمع قصد أو لم يقصد ، وحين يكون فى بالك نفع غيرك استفدت وأفدت فأخذت الثوابين ، وإن لم تقصد نفع غيرك فقد أحبطت ثواب عملك وصارت الخيبة لك واستفاد المجتمع ، فترى من يبنى بيتًا ليؤجره مصلحته فى باله ولكنه حينما يأتى بالطوب والبنائين ومن « يغفق » ويدخل كهرباء ومياه ويضرب « بوية » ويستكمل مرافق البيت ،

ينتفع الآخرون رغمًا عنه فى كل هذه المجالات ، فلا يفكر أحد أنه أخذ رزق ربنا ويضحك عليه .

ويجب على الذين يسكنون بيوتًا منذ عشرين أو ثلاثين سنة أن يكون لديهم حس إيمانى ، لأن الإيجار الذى يدفعونه كان مناسبًا وقت أن سكنوا ، أما اليوم فلم يعد الإيجار يتناسب وارتفاع مستوى المعيشة ، لذلك على الساكن أن يبادر برفع إيجار شقته ولو بنسبة بسيطة ، ولو فعل ذلك لربما شكره المالك ولم يأخذ منه شيئا ، ولكن مثل هذا التصرف يشيع الحب بين المالك والمستأجر ، ويستل الأحقاد .

وحين يقول الحق للمؤمنين : ﴿ لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[1] فهو يبين أن حفاظك على مال الآخرين حفاظ على مالك ، لأنك لو أكلت مال غيرك فسيجرؤ الآلاف على أكل مالك ، وقد ذكر الحق سبحانه « التجارة » لأنها الحلقة الجامعة لكل حركة الحياة زراعية وصناعية وغيرها ، وأن تكون هذه التجارة عن تراض ، لأن رضا النفس البشرية مطلوب أساسًا فى كل ما تأخذه حتى

---

(١) سورة النساء : الآية ٢٩ .

فى الأعواض ، وما أخذته بسيف الحياء حرام، فلا تستغل حياء شخص لتأخذ منه شيئًا يمنعه حياؤه أن يمنعه عنك .

والرسول ﷺ يقول : « إنما أنا بشر وأنكم تختصمون إلىَّ ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته – يعنى عنده بلاغة ومنطق فى الكلام لإثبات قضيته – فأقضى له . فمن قضيت له من حق أخيه بشىء فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار » ، حتى حكم الرسول نفسه لا يحلل حرامًا ولا يحرم حلالا ، والمطلوب منك أيها المسلم أن تغربل نفسك وتقوم بعملية الترضية فيما بينك وبين الناس من معاملات ، وإلا فكم من أحكام قبلها أصحابها وهم غير راضين ، وفساد المجتمعات يأتى من هذه الناحية .

لا تقتلوا أنفسكم

ثم يقول الحق : ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[1] . يعنى لا يقتل كل واحد منكم نفسه ، فلا تنتحر إذا وجدت نفسك فى ظروف ضاقت بك أسبابك عن الخروج منه ، ولا تظن أنك معزول عن خالق أعلى ، والمؤمن هو الذى يقول أنا لى رب ولست وحدى وما دام لى رب وأنا لا أقدر فلا أنتحر ، وهذه

(١) سورة النساء : الآية ٢٩ .

هى فائدة الإيمان أن يربطك بالمسبب الأعلى الذى يرزقك من حيث لا تحتسب ويفتح لك الأبواب من حيث لا تدرى ، أما إذا نسيت ربك وعجلت بحياتك فأنت مطرود من رحمة الله محرمة عليك جنته ، والله يقول فى حديث قدسى : (بادرنى عبدى بنفسه عظمت عليه جنتى) ، أى حرمت عليه الجنة ، فواهب الحياة هو الذى يأخذها ، فتذكر ربك دائما يذكرك ويجعل لك من بعد ضيق فرجًا ، ومن كل أزمة مخرجًا ، إذا تمسكت بالإيمان لأنه يعطيك صلابة استقبال الشدائد ، ومعنى آخر لأمر الله لقوله تعالى ﴿ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[1] أو لا تقتلوا أنفسكم بمعنى أنكم يا مؤمنين وحدة إيمانية ومن قتل يقتل ، أو فلا تقتل غيرك حتى لا يؤدى الأمر إلى قتلك تطبيقًا لأمر الله تعالى :

﴿ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَأُوْلِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2]

لأن من يريد القتل لو يعرف أنه سيقتل فسيراجع نفسه قبل الإقدام على جريمته ، وهذا هو المقصود من تطبيق أحكام الله أنها تكون رادعًا لكل من تسول له نفسه الاعتداء على حرمة المجتمع وأعراضه وأمواله وأبنائه ، وهذا سر من أسرار قوله تعالى فى الآية التى نحن

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٩ .

بصدد تفسيرها : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ومظهر الرحمة أيضًا في : ﴿لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ و﴿ لاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ .

إن هذه الأوامر قد يكون ظاهرها تضييقًا لحركتك ، ولكن لا تنظر للأمـــر من هذه الزاوية على أنه أخذ من حريتك ، وأنظر إليه من زاوية ما يعطيك من تضييق حرية الآخرين ، لأن الحق حينما قال لك كف عن السرقة ، أمر الآلاف أن يكفوا عن سرقتك ، وحينما قال لك لا تمد عينيك إلى محارم غيرك قال لملايين العيون ألا تنظر إلى محارمك ، فتصبح النتيجة أنك أنت الكسبان ، وهكذا كل تكليف لا تنظر إلى ما يؤخذ منك بل ما يعطى لك ، لأنه لو أبيح لك أن تطلق نفسك فى الناس فماذا يكون حالك فى المقابل لو أبيح للناس أيضًا أن يطلقوا أنفسهم فيك ؟ إنك لن تستطيع أن تقف أمام كل الناس ، ولذلك كان من رحمة الله بنا أنه يأمرنا أن نكف أنفسنا عن حرمات الناس حتى يكفوا أنفسهم عن حرماتنا ، ومن هنا ينشأ التوازن فى المجتمع وتسقيم أموره بالعدل الإلهى القائم على أحكام الله التى علينا أن نستقبلها استقبالا إيمانيا ما دمنا مؤمنين بالله كحكيم عليم قادر ، ولنجعل من إيماننا حيثية لكل حكم

يحكم به الله ويأمرك به ، ولا تقل لماذا ؟ ولكن يكفى أن الله الذى آمنت به مأمون على كل ما كلفك به لأنه لم يكلف إلا من آمن به .

الحيـازة والملكيـة

س - هل يخضع ما سخره الله للإنسان للقانون الإلهى فى المنع والعطاء ؟ .

ج - جعل الله استمرار النوع الإنسانى بالتناسل ، وجعل بقاء النوع بمقومات تتمثل فى الأكل والشرب والهواء ، وجعل الله ترتيب صبر الإنسان على واحدة من هذه الثلاث ترتيبًا يتحقق به استبقاء الحياة ، فالإنسان يستطيع الصبر على الطعام لمدة شهر ، والماء يصبر عليه من ثلاثة إلى عشرة أيام ، أما الهواء فلا تستطيع الصبر عليه إلا بمقدار شهيق وزفير .

لذلك جعل الحق تبارك وتعالى الحيازة والملكية فى هذه الأشياء « الطعام والشراب والهواء » مترتبة على أهميتها ، فنجد أن من الممكن أن تتحمل الجوع أمام من يحتكر الطعام ، لمدة شهر طبقًا للتركيب الجسمانى الذى ركبه الله فيك بحيث تستطيع أن تصبر شهرًا على الأكل لتكون الظروف تغيرت إما برضاء

المحتكر عنك ، أو بمقدرتك على أن تحتال وتحصل على الطعام ، والمياه تجد أن التملك والحيازة والاحتكار فيها أقل . فيجعل الحق فى قدرتك الصبر على العطش لمدة عشرة أيام ، أما الهواء فلأن أحدًا لا يستطيع الاستغناء عنه على الأكثر إلا بمقدار الشهيق والزفير وفيما لا يزيد على نصف دقيقة أو دقيقة على الأكثر فإن الحق جعل ملكية أو حيازة أو احتكار الهواء مسألة معدومة ، لأنه لا أحد يستطيع أن يتحكم فى الهواء ويمنعه عن الناس ، لأنه لو امتلك أحد الهواء ومنعه عنك فإنه حتى يرضى عنك تكون قد فارقت الحياة .

وهكذا تجد أن رحمة الله بعباده جعلت أسباب حفظ الحياة تتفاوت السيطرة عليها بمقدار أهميتها وضرورتها لبقاء حياة الإنسان ، وهذا من رأفة الله بخلقه ، ومن رأفة الله بخلقه أيضًا أن من يأخذ بالأسباب الكونية حتى لو كان كافرًا فإن الله يعطيه ، فمثلا إذا أحسن الزراعة أعطاه حصادًا جيدًا ، وإذا أحسن استخراج المعادن من الأرض وتصنيعها جاءت له وفق ما يريد ، فلا يبخل الله برزقه على الناس مؤمنهم وكافرهم ، لأن الحق تبارك وتعالى خلق الناس جميعًا واستدعاهم إلى الوجود ، فحق عليه أن يرزقهم إذا ما أعملوا عقولهم وأيديهم فى الأسباب التى خلقها الله فى كونه .

ولكن لا يحسبن أحد أن الأسباب ممنوعة عن الله ، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ، لأن من يحاول التمرد على الله يجعل الله الأسباب تنقضه ، فالإنسان تنفعل له الكائنات انفعالا لقدرة الله وانصياعًا لأمره ، وكذلك المسخرات من أرض ومطر وشمس وقمر وليل ونهار ، وغيرها من مخلوقات الله التى يقول الحق تبارك وتعالى فيها : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(1) .

ولم يجعل الحق ما سخره للإنسان يخدمه خدمة رتيبة ،إنما الله يملى لها ويأمرها أن تنقبض عمن يشاء حينما يشاء ، فيوحى الله لها كما أوحى للنمل وأوحى للمطر وأوحى للنحل مما جاء ذكره فى القرآن الكريم ، وقد رأينا أن لهذه الكائنات ولهذه المسخرات لغة خاصة بها ، ألم يسمع سيدنا سليمان « النمل » ، يقول – كما أخبر بذلك القرآن فى قول الحق : ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ... إلخ الآية﴾(2) .

---

(1) سورة النحل : آية ١٢ .

(2) سورة النمل : الآيتان : ١٨ ، ١٩ .

وألم يتكلم « الهدهد » إلى سليمان حينما تفقد الطير فلم يجده ، وتوعده بالعذاب أو الذبح إن لم يأت بعذر يعفيه من العقوبة ، فلما عاد الهدهد قال : ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[1] ، وألم يستمع « النحل » إلى وحى الله ، يقول الحق ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾[2] ، وغير ذلك من الكائنات .

وما خلق الله من دواب مسخرة بأمر الله وتفعل ما يأمرها به كما يقول الحق : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[3] .

لقد أمر الله ما سخره للناس أن ينفعل معهم ويعطيهم خيره ، وإنك لتجد مثلا « البلح » و « الكمثرى » وغيرها من الفواكه عندما تنضج وتستوى تسقط بإذن ربها كأنها تقول لك :خذنى

---

(١) سورة النمل : الآية ٢٢ .
(٢) سورة النحل : الآيتان ٦٨ ، ٦٩ .
(٣) سورة النحل : الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

لقد آن أوان قطفى وأكلى ، وإن توسعت تأخذ من أسرار الحق فى باطن الأرض ، ولم تكن لتعرفها لولا الزلازل والبراكين التى أخرجت للإنسان ما فى باطنها (بإذن الله) من معادن ، فكل هذه النعم إذن تستحق الشكر من الله لا الكفر بها ، والكفر بالنعمة ومحاولة التمرد جزاؤها كما تجد فى عصرنا أن الحق يمنع المطر عن بعض المناطق ويحدث فيها الجفاف والجدب ، وذلك آية من إله له قدرته على المنع ، كما أن له القدرة على المنح ، ودوام نعمته وبركتها لعباده المؤمنين المتقين، فيقول الحق : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

وهكذا نعم الله من سمائه وأرضه لمن آمن واتقى ، هى نعم دائمة ، ثم يقبضها الحق عمن تمردوا وعاندوا منهج الله ، وأنت تجد ناسًا أنعم الله عليهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، والواقع الذى نعيشه يؤكد ذلك ، وهو أن كل بلد أخذت نعم الله وعاندت منهجه جعلها الله تفسد بأيديها ، وكم من بلاد أعطاها الله خير الدنيا وصارت مزارًا للنعمة والانفلات ، ثم

(١) سورة الأعراف : الآية ٩٦ .

أنزل الله بين أهلها بأسهم بينهم كما (رأينا) فى لبنان ، والله سبحانه يريد أن نعتبر من هذا ونتعلم دروسًا نافعة ، والله عزّ وجلّ يضرب الأمثلة تلو الأمثلة لكى يعتبر عبــاده ، فيقــول الحق سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَت بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[1] .

وهذا واقع نجده الآن على ناس أخذوا نعمة الله كفرًا فأفسدوا ، فسلطهم الله على بعضهم البعض ، اقرأ معى قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[2] ونحن بذنوبنا وما نرتكبه من معاص يمكن أن يأخذنا الله بها أخذ عزيز مقتدر ، ولكن كما جاء فى الحديث الشريف : « أنه لولا أطفال رضع وشــيوخ ركع وبهائم رتع لصب الله عليكم العذاب صبا » ، فكأن الله يكرمنا بضعفائنا .

---

(١) سورة النحل : الآية ١١٢ .
(٢) سورة الإسراء : الآية ١٦ .

ورغم أن هناك أجناسًا أخرى تشارك الإنسان فى الوجود إلا انه أرقاها جميعًا ، فالنبات امتاز عن الجماد بالنمو ، والحيوان امتاز بشىء من الحس والحركة ، أما الإنسان فقد امتاز بالفكر ، وهذا هو المقياس الذى يختار به الإنسان بين البديلات ، أما الشىء الذى لا اختيار فيه فلا بديل له فيه ، لم يكلف الله الإنسان بشىء إلا وهو يعلم أن تركيبته قادرة على أدائه ، وما نهى الله عن شىء إلا وهو يعلم أن الإنسان قادر على ألا يفعله .

والإنسان رغم أنه أعلى الأجناس إلا أن فيه حيوانية ونباتية ، فجسده ينمو ولا يعرف كيف يحدث ذلك مثل النبات ، ولا يستطيع إدارة دواليب جسمه كالقلب والمعدة وغيرها ، مثل الحيوان لا اختيار له فيها ، ومن رحمة الله أنه جعل الإنسان مُسيرًا فى هذه الأشياء ، وإلا فحين ينام هل ينام القلب بنومه ويتوقف ويموت ؟

فهذه الأجهزة تؤدى مهمتها وأنا نائم بأمر الله ، وهى تنفصل عن العقل والفكر وهى منطقة التكليف من الله ، وفاقدها لا يكلف كالمجنون والذى لم ينضج عقله بعد ، إذن فالله سبحانه وتعالى لا يكلف إلا عاقلاً ناضجًا ، ولذلك فإن الحق تبارك وتعالى يتعرض لهذه المسألة على أساس وصفين ، أنه الخالق والفعال لكل شىء والثانى أنه عدل ، فحين أرجح فعلا على فعل لا أقول

أننى خلقته بل وجهت الأدوات الفاعلة بالطاقة التى خلقها الله ، ومهمة الرسل أن تقول لك افعل كذا ولا تفعل كذا ، ولا تقول لك إلا إذا كنت صالحًا لأن تفعل ، وصالحًا لأن لا تفعل .

الفصل الرابع

مجتمع العمل لا البطالة
والحرية لا الفوضى

(الإسلام لا يحمى البطالة ، وإنما يطلب من ولى الأمر أن يوجد لكل فرد ميدان عمله ، وأن يحمله على ذلك حملا يعينه أولا ، فإن استجاب فبها ، وإلا فعليه أن يحمله بالقوة ليعمل) .

الشيخ الشعراوى

سلطة بحق وسلطة بغير حق

س - ما هى المتطلبات الضرورية لسلامة مقومات خلافة الإنسان فى الأرض ؟ .

ج -يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْىَ بغَيْرِ الْحَقِّ وَأن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1] .

يريد الحق سبحانه صيانة أشياء ضرورية لسلامة مقومات خلافة الإنسان فى الأرض وأداء مهمته ، وذلك بأن يسلم للمجتمع طهر أنساله وأنسابه مما هو ضرورى للمجتمع ، لأن الإنسان عندما يثق أن هذه الأنساب بضعة منه وأن ابنه من صلبه ، رباه وأحسن رعايته ، أما إذا تشكك فى نسبته إليه فإنه يهمله ويلفظه إلى المجتمع ضائعًا لا أحد يربيه ولا يسأل عنه، لذلك لابد أن يوجد كل فرد منسوبًا إلى أبيه ليتحمل مسئولية رعايته ، أما إذا وجدت أطفالا مشردين مع وجود آبائهم ، فثق أن شكًّا تسرب إلى الأب فى أن هذا ليس

(١) سورة الأعراف : الآية ٣٣ .

ابنه ، فلا يبالى أأكل أم جاع ، تغطى أم تعرى ، جاء أو لم يجىء ، لهذا فسلامة الأنسال ضرورة ليكون كل إنسان محسوبًا على أبيه .

وانتهوا إلى أن الفحش هو الزنى ، لأن أثره يتعدى المتعة إلى الأنسال، إلى المجتمع ، فيصبح مجتمعًا مهملا لا داعى له – أما الإثم فقد انتهوا إلى أنه الخمر بدليل قوله تعالى : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ والْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ومَنَافِعُ للنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَر مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [1] فى حديث القرآن عن الخمر والميسر فهما إثم ، وكما أراد الله أن يضمن الأنسال وطهارتها ونسبتها إلى الآباء مما يقتضى منهم التربية ، فقد أراد الحق أيضًا أن يضمن سلامة مقوم تنظيم حركة الحياة ، وهو « العقل » ليظل سليما يواجه به أمور الحياة لأن العقل إذا إختل اختلط التخطيط لحركة الحياة وتختل بذلك حركة المجتمع .

فمثلا ابنك رسب ، فإن كان من إهمال فذلك ليلدغك وتهتم به ، وتشترى له الكتب وتجعله يذاكر ، أما إذا استوفى أسباب الاستعداد للامتحان وحصلت له حادثة سيارة منعته من دخول الامتحان ، فإن لذلك حكمة من ربه ،يمكن ليبعد عنه عيون الناس ، لأن الخوف من أن تتم النعمة على إنسان فيكون ذلك إيذانًا

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٩ .

بزوالها ،لأن تمام النعمة وأنت ابن أغيار وفى دنيا الأغيار فلابد أن يحدث تغير بنقصان النعمة – ويمكن ابنك مرض ، والطلبه زملاؤه عملوا مظاهرة وقبضوا عليهم ، فتحمد ربنا أنه مرض ولم يكن معهم ، إذن فالتفكير بالأسباب من العقل الكامل ، والتفكير بالقضاء والقدر يحتاج للإيمان .

أما البغى فهو مجاوزة الحد ظلما أو كِبرا أو مخيلة أو ظلمًا لأحد ، بأخذ حاجة الغير وتحرمه من ثمرة عمله فيزهد فى العمل ، ولا يعمل إلا على قدر طاقته وتنتهى المسألة ، ولا أحد يبغى على أحد لا فى عرضه ولا فى نفسه ولا فى ماله .

والاعتداء على العرض من الفواحش ، ليس لأنه يأتى بأولاد حرام، لأن فيه فاحشة لا تأتى بأولاد حرام ، ولكن لأن البغى هو الاعتداء على أحد محرماته ، على نفسه فلا تقتله ، على ماله فلا تأخذه منه ظلما .

ومن البغى أن تأخذ سلطة قهرًا بغير حق ، وهل فيه أخذ سلطة بحق ؟ نعم من الممكن لو كنت مثلا راكبًا زورقًا تعرض للرياح والزوابع ، وكنت أنت أمهر فى القيادة ، اضرب على يد قائد الزورق وتولى أنت أمر قيادته ، فهذا أخذ للسلطة قهرًا ولكنه لأمر النجاة ، ورأينا سيدنا يوسف لما ثبتت براءته من

عرض امرأة العزيز ، وثبت علمه فى ترتيب المسألة الاقتصادية فى أعوام الجدب والرخاء طلب تولى المسئولية ، لذلك يجب على من يتولى الأمور أن يكون متصفًا بالعلم والأمانة على ما ائتمن عليه ، لذلك قال يوسف للعزيز : ﴿ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[1] ، طلبها بنفسه والسبب قال : ﴿ إِنِّى حَفِيظٌ عِلِيمٌ ﴾ حفيظ أى على عرضك فى امرأتك بعد ما ثبتت براءتى ، عليم لأنى رتبت المسألة الاقتصادية بشهادتك .

أما من يتولى المسئولية بغير علم ويأخذها مجاملة ، فإنه يهمل فيها وتضيع مصلحة المجتمع ، لذا يجب أن يتنبه الناس فى أنظمة الحكم إلى أن كون واحد يرشح نفسه فخف منه ، لأن طالب الولاية لا يُوَلَّى ، إنما اجعلها بين الناس و « خللى » الدائرة تقول : (ينفعنا فلان وفلان) ، ومن يحصل على أصوات أكثر يتولى المسئولية ، أما سلامة الدين فتأتى بعدم الشرك بالله ، فيقول الحق سبحانه لرسوله ﷺ فى قرآنه الكريم : ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ ... إلخ الآية ﴾[2] . والرسول ﷺ حتى قبل أن يبعثه الحق بدين الإسلام لم يعبد

(١) سورة يوسف : الآية ٥٥ .
(٢) سورة الأنعام : الآية ٥٦ .

غير الله ، قد يكون هذا عن اقتناع فطرى ، ولكن الله أراد أن يجعلها أمرًا عباديًا ،فنقل المسألة التى لم يكن الرسول يعملها إلا بفطرته ، من إلْفِ العادة إلى إلْفِ العبادة ، فهو ﷺ لم يعبد الأصنام ولم يقترب منها ، لأنه فطريًا تجدها تفكيرًا سخيفًا ، حجارة ينحتونها ليعبدونها ؟ فماذا كانوا يعبدون قبل نحتها ؟ لا شيء ، إذن فقد صنعوا بأيديهم ما يعبدونه ، وهذا الذى صنعوه ليعبدوه ، من أى أجناس الوجود هو ؟ إنه أدنى أجناس الوجود بعد الإنسان والحيوان والنبات ، إنه الجماد فكيف يتسنى للإنسان وهو أعلى الأجناس وسيدها أن يعبد أدنى الأجناس ؟ .

إنهم يرضون فطرة العبادة فى نفوسهم بعبادة أصنام لا تضر ولا تنفع ولا تقول لهم افعلوا أو لا تفعلوا ، فلا هى تأمرهم ولا تنهاهم ، ولذلك يصبحون فى حل من اتباع أهوائهم وشهواتهم ، وفى نفس الوقت يرضون غريزة التدين الفطرية فيهم دون أن يحملهم ذلك أعباء أحكام وتكاليف وعبادات تحول بينهم وبين تحقيق رغبات شيطان الهوى والنفس ، وهذا ما نراه حاصلا اليوم فى عصرنا من ظهور ديانات اخترعها بشر لبشر كالبهائية التى يتبعها من يريدون الهروب من تكاليف الإسلام وعباداته فيقنعون أنفسهم بأنهم متدينون ، فى ذات الوقت الذى ينطلقون فيه ليفعلوا

ما يريدون ، فالبهائية وغيرها من اخترعات البشر الدينية المنحرفة تبيح الاختلاط والمنكر والفحشاء والبغى ، فيتبعها الذين أسرفوا على أنفسهم فيخدعون أنفسهم بأنهم متدينون ليطلقوا العنان لأنفسهم بعيدًا عن تكاليف الإسلام لأنها شاقة على نفوسهم ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[1] ، والرسول أمره ربه ﴿ قُل لا أَتبعُ أَهْواءكُمْ ﴾ ، إذن المسألة ليست خاضعة « لهدى » بل لهوى ولخواطر النفس التى تحقق شهواتها ، كما فعل عبدة الأصنام الذين أشبعوا غريزة التدين الفطرية ، وأيضًا أشبعوا شهوات نفوسهم ، وهذا ما يفعله أتباع البهائية ، ولذلك وجب معاملتهم معاملة الكفار والمنحرفين .

نعمـة الشـر والظلمـات

س - يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ الأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[2] فهل للظلمات مهمة ؟ .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٤٥ .
(٢) سورة الأنعام : الآية ١ .

ج - الظلمة لها مهمة ولكن الذى يتعب الخلق أن تأتى الظلمة فى مهمة النور ، وأن يأتى النور فى مهمة الظلمة ، والحق حينما أنشأ المتضادات لم يجعلها تتعاند بل تتكامل ، لذا عندما قال الحق سبحانه : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾[1] .

فهو يعنى أن لكل من الليل والنهار مهمة خاصة ، ومهمة النهار لا تؤدى على حقيقتها إلا إذا أديت مهمة الليل على حقيقتها ، وهات واحد لم ينم ، فكيف تراه فى الصباح ، إنه غير قادر على ممارسة أى عمل من الأعمال ، إذن فالليل نعمة للراحة ، تعين على أداء العمل بالنهار الذى هو نعمة للرزق والكسب ، وكذلك الذكر والأنثى متساندان وليسا متعاندين ، فلكل منهما نعمة تكمل مهمة الآخر فيعمر الكون .

وأيضًا كما أوجد الله الخير أوجد الشر ، وترك لك الاختيار بعقلك الذى ميزك به عن سائر الكائنات ، ولو اتجهت إلى الشر فلا تحسب أنك اتجهت إليه غصبًا عن الحق سبحانه ، ولكنه يقع على غير محبوبية من الله ، لأنه الذى أوجد لك الاختيار لأن تفعل هذا أو ذاك .

ولو لم يوجد الشر فلن تحس قيمة الخير ، لكن لما يؤلمنى الشر أحس بالخير وقيمته ، وكذلك ساعة ما يهاجم الإسلام ، يستيقظ

---

(١) سورة الليل : الآيتان ١ ، ٢ .

الإسلام فى نفوس المسلمين ،لما أصحاب الكفر يطغوا ، نقول ... .
يا سلام ..الإيمان يعصم المجتمع من مساوئ كثيرة .

الحدود بين الحرية والفوضى

س - ما هى الحدود التى يضعها الإسلام بين الحرية والفوضى لكى نعصم المجتمع من مساوئ الخلط بينهما ؟

ج - يجعل الإسلام من المجتمع الإيمانى رابطة إيمانية واحدة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ولذلك شرع الحق سبحانه وتعالى أن من قتل شخصًا فكأنما قتل الناس جميعًا ، لأن من اعتدى على واحد فقد اعتدى على المجتمع كله ، ومن أنقذ واحدًا فكأنما أنقذ المجتمع كله ، ولذلك يقول الحق : ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1] ، لأن الله سبحانه لا يريد أن يجترئ باطل على حق ، فيجترئ أصحاب الشر أمام سلبية أصحاب الخير حينما يقول كل منهم « وأنا مالى » كأن الشر لن يصيبهم أو يصل إليهم ، وقد شبه الرسول ﷺ هؤلاء مثل قوم ركبوا سفينة بعضهم فى أعلاها وبعضهم فى أسفلها ، فإذا أراد من هم فى أسفل السفينة أن يحصلوا

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣٢ .

على الماء صعدوا إلى أعلى السفينة ، حتى قال بعضهم لبعض : بدلا من الصعود والنزول لنخرق خرقًا في السفينة ونأخذ المياه التى نريدها ، فلو تركهم الناس الذين فى أعلى السفينة لهلكوا وهلكوا جميعًا ، ولو ضربوا على أيديهم فمنعوهم لنجوا ونجوا جميعًا .

وهكذا يجب أن يكون فهم معنى الحرية ، لأنها إن تجاوزت خير المجتمع الإيمانى إلى الإضرار به تصبح فوضى تصيب المجتمع كله ، لهذا فالقائم على حدود الله لا ينظر إلى نفس قتلت نفسًا بغير حق ، إنما ينظر كأنما قتل الناس جميعًا ، لأن من يجترئ على واحد يجترئ على آخرين ،لأنه أصبح أسوة سيئة .

والرسول ﷺ يقول : « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من فعلها ، ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من فعلها » ، لأن من استثمر طاقته الإيمانية لنفع الناس ، فقد أفاد واستفاد، بعكس من عطل قوى الخير فى نفسه وأطلق قوى الشر فيصيب الناس جميعًا ، ولذلك جاءت فظاعة العقاب لتمنع الجريمة من الوقوع ، وقد قال العرب (القتل أنفى للقتل) ، ليس مطلق قتل إنما قتل القصاص – لذلك جاء التعبير القرآنى أبلغ وأدق حينما قال : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾[1] ، والقصاص

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٩ .

يأتى ممن قتل نفسًا بغير نفس أو فساد فى الأرض ،والفساد هو إخراج الصالح عن صلاحيته ، بينما المطلوب إيمانيًا زيادة الصالح صلاحًا ، فالأرض وهى موطئ البشر أى فساد فيها عائد على كل مظروف فى الأرض ، وأول مظروف فى الأرض هو السيد الإنسان ،ثم يأتى الفساد فى الأقوام الأخرى كالحيوان والنبات والجماد .

والإفساد فى هذه الأشياء أن تخرجها عن مستحوذها المالك لها ، مثل واحد يسير ببضاعة فيغتصبها آخرون منه، أوواحد معه أرض يستولى عليها آخرون عنوة ، وغير ذلك مما يؤدى إلى تفزيع الناس وتخويفهم وإقلاقهم وإرعابهم، وهذا فساد فى الأرض يؤدى للقتل .

وهؤلاء المفسدون مسرفون على أنفسهم ، أى متجاوزون للحد ، لأنهم لا يأخذون على قدر تكوينهم وموقعهم فى الوجود ، إنما هم يغتصبون تعب الناس وعرقهم ، ولو مر ذلك بغير عقاب فسيتعود اللصوص وقطاع الطرق على أن يعيشوا براحة من عرق غيرهم ، وسيكون لذلك رد فعل فى أن المتحرك فى الحياة سيتحرك فقط على قدر لقمته ، لأنه رأى ماله يفجع فيه فما الذى يدعوه لأن يتحرك ما دام جهد وعرق وتعب حركته يستولى عليها من ليس له حق فيها ؟ .

لهذا جاء الإسلام ليحارب الفساد بالقصاص من المفسدين وإدخالهم فى دائرة من يحاربون الله ورسوله ، فيقول الحق تبارك

وتعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْتُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (1) .

ولنعرف أولا كيف تكون محاربة الله ؟ فالله غيب ومحاربته غيب ، فإن استوليت على سلطاته كمشرع وشرعت أنت فقد استوليت على حقه فى التشريع ، لذلك فمن يحكمون بغير ما أنزل الله عليهم أن يفيقوا لأنفسهم لأن المسألة ليست نحن وهم بل هم والله ، لأن الله لايزال ملكه فى يده لن يسلمه لأحد ، وكل تشريع لله هو حماية لصنعته ، زالذى يحمى ويضع كتالوج الصنعة هو صانعها ، لأنه ليس من المعقول أن أذهب للجزار ليضع قانون صيانة التليفزيون !! .

لذلك فإن الإنسان الذى يشرع لإنسان فكأنه يحارب الله ، وكيف تكون محاربة الرسول ؟ لقد كان الرسول مشهدًا فى يوم من الأيام ، ولما انتقل إلى ربه أصبحت محاربته كمحاربة الله حينما تأخذ سلطته التشريعية الثانية وتقول : « نأخذ كلام ربنا فقط » وترفع شعار حق يراد به باطل حين تقول : « بيننا وبينكم كتاب الله» وتفصل بينه وبين سنة رسول الله ﷺ ، ومن يقولون بهذا غير واعين إلى أن

---

(1) سورة المائدة : الآية ٣٣ .

طاعة الرسول هى من طاعة الله ، بدليل أن اللهعندما أمرنا بالصلاة ، فمن الذى حدد عدد ركعاتها ؟ - أليس هو الرسول ؟ وحينما أمرنا الله بالزكاة ، فمن الذى حدد نصابها ؟ - أليس هو الرسول ؟ ، وحينما أمرنا الله بالحج - فمن الذى فصل لنا كيفية الحج ؟ - أليس هو الرسول ؟ .

إذن فالرسول له مهمة ، إن تركت سنته فيما قاله أوفعله أو أقره فقد حاربته مثل الله ، فيأتى البعض لينكر الأحاديث فيقول إنها كثيرة وموضوعة ؟ - كيف يستكثرون على الرسول أحاديثه وهو يدعو إلى الله ٢٣ سنة . ألا يعلمون أن كل كلمة للرسول حديث ، وكل فعل له حديث ، وكل كلام سمعه وأقره ووافق عليه حديث ، وكل فعل فعله غيره ، ولم يعترض عليه حديث .

أبعد كل هذا يستكثرون عليه ﷺ كثرة الأحاديث رغم « الغربلة » والتصفية لتبقى الأحاديث الصحيحة فقط ، لأن أى راو فى سلسلة رواة الحديث إذا ثبت أنه كذب مرة واحدة يتم استبعاد الحديث الذى شارك فى روايته ،إضافة إلى وعد الرسول له بالعذاب فى قوله « من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار » .

وهكذا الذين يحاربون الله ورسوله معتدون على شرع الله تقنينا من عند أنفسهم وإنكارًا لسنة الرسول ، وقد قرن الله

المفسدين فى الأرض مع الذين يحاربون الله ورسوله ، لأن المعتدين فى الأرض مظهر سلوكى ، والمعتدين على أحكام اللهوسنة الرسول مظهر تشريعى ، والفساد فى الأرض له مظاهر متعددة ، قتل إنسان ، أو قتله وأخذ ماله، أوأخذ ماله دون قتله، أو إرعابه ولا يأخذ منه شىء - فكأن كلمة الفساد طوى الله فيها كل ألوان الفساد ، وما هو العقـــاب ؟ - إنه القتل لمن قتـــل ، والصلب لمن قتل وأخذ المال ، وتقطيع الأيدى والأرجل يدًا يدًا وقدمًا قدمًا مع تكرار عملية اغتصاب المال ، أما النفى فهـــو لمن يخوف النـــاس ويرعبهم دون أن يأخذ منهم شيئًا ، فكل مجرم يعاقب بما يتناسب وجريمته ردعًا للفساد ومنعًا له ، وهؤلاء المفسدون يتوعدهم الحق بأن ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾، والخزى بمعنى الفضيحة.

فهذا الذى كان يعربد ويفسد فى الأرض حينما يراه الناس مكبّلا بالأغلال ويضرب دون أن يكون له حول ولا قوة ، ماذا سيكون موقفه أمام من ظلمهم ؟ إنه يكون فى خزى وفضيحة وله عذاب عظيم ، عذاب فى الدنيا على قدر طاقة البشر فى العقاب ، وفى الآخرة طاقة الطاقات فى العذاب والعقاب - ولكن الحق سبحانه الذى سبقت رحمته غضبه ، يفتح الباب للمفسدين أن يتوبوا قبل

أن يتم القبض عليهم ، فيقول تبارك وتعالى : ﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُور رَّحِيمٌ﴾(١) فمن تاب عن فساده قبل الإمساك به تقبل توبته ، وأما التوبة بعد ما يقدر عليه ويمسك به فإنها توبة لا تصلح ولا تنفع .

حماية أُذن الناس

س - كيف يحمى الله المجتمع من قالات السوء الناتجة عن هبوط مستوى اللغة التى يتعامل بها الناس ؟ .

ج - حينما يقول الحق فى كتابه الكريم : ﴿لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾(٢) ، فإنه سبحانه يريد أن يحمى أذن الناس فى المجتمع الإيمانى من قالات السوء والألفاظ المؤذية والتعبيرات التى تخرج عن باب الأدب والحياء – لماذا ؟ .

لأن الناس تتكلم بما تسمع لفظًا قبيحًا كان أو حسنًا ،لأن اللغة بنت المحاكاة ، وما تسمعه الأذن يحكيه اللسان ، فليست اللغة دمًا ولا جنسًا ، لذلك إذا جئت بإنجليزى قمت بتنشئته

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣٤ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٤٨ .

فى بيئة عربية فسرف يتكلم العربية ، والعكس صحيح لو جئت بعربى وربيته فى المجتمع الإنجليزى يتعلم ويتكلم ويعبر عن نفسه بالإنجليزية ، فإنسان تربى فى بيئة إسلامية لن تجد فى كلامه إلا خير الكلام ، وإنسان آخر تربى فى الشارع بين غلاظ الناس وأفظاظهم فلن تسمع منه إلا كل قول قبيح .

من أجل هذا يريد الحق تبارك وتعالى أن يحمى المجتمع من قالات السوء التى تطرق آذان الناس ، لأنها ستعطيهم لغة رديئة يتكلمون بها ولا ينتفعون ، بل سيؤذون أنفسهم ويؤذون غيرهم – خاصة إذا صدرت الكلمة من مشهورين معروفين للناس يخاطبونهم عبر الراديو والتليفزيون والوسائل الأخرى ، فيسمع الناس كلامهم ويقلدونهم وعلى الأخص أطفالنا ، فيكون عليهم وزرها ووزر من قالوها – وكذلك أى فعل من الأفعال ، والرسول ﷺ يقول : « من استن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من فعلها ، ومن استن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من فعلها » .

وعندما نجد مسلسلات أو أفلامًا أو مسرحيات باسم الفن تتهكم على رجل دين أو تجعل النشء يتجرأ على الأب أو الأم أو الاستهتار بقيم المجتمع بلفظ أو فعل يتناقله الناس ويقلدونه ، فإن كل المشاركين فى هذه العملية آثمون ، لأنهم ساهموا فى إتعاب أجيال كان من الممكن إرشادها وتنشئتها التنشئة الإسلامية الصحيحة ،

إذا ما أحسن استخدام وسائل العلم الحديث ، وأجهزة الإعلام المفتوحة على كل الناس بما يرقى بالمجتمع ولا يهبط به .

وإذا كان الحق سبحانه وتعالى لا يحب الجهر بالسوء من القول ، فإنه يحب الجهر بالحسن من القول ، ولكن الله وهو يدعو إلى محاسن الأقوال وتجنب فاحشها ، فإنه لم يهمل الملكات البشرية حينما قال ﴿ إلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾، أى من كان مظلومًا بسباب بذىء ، فيجوز له أن يرد ولكن يجوز له أن يعفو أيضًا ، وإذا أغضبك إنسان فيجوز لك أن ترد غضبك ، يقول الأحنف بن قيس : « من استغضب فلم يغضب فهو حمار » ، ولكن يجوز أيضًا أن يعفو عنه بكلمة طيبة ، ولكن ليس معنى هذا أن كل واحد ينفس عن نفسه ، لأن الله قد حكمها وقيدها بقوله : ﴿ إلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾ ، كأخذ حق منك لغيرك ، والتنفيس عن نفسك يكون كما أراده الله فى الحدود المنفسة عن القلوب–لأن الله لايريد أن يجعل الإنسان ينفس عن ملكة من ملكاته على حساب ملكة أخرى. فينصح الرسول ﷺ الإنسان فى حالة غضبه وثورته أن يغير مكانه، فإن كان جالسًا فليقم ، وإن كان قائمًا فليجلس ، وإن كان واقفًا فليمش، أو ليتوضأ، فالوضوء يطفئُ الغضب كما يطفئُ الماء النار.

وحينما يبيح الله الجهر والإعلان من المظلوم عن غضبه فهو سبحانه يهدف إلى تنفيس المظلوم عن نفسه أولا حتى لا يكبت نفسه مما يسبب آلامًا نفسية فوق الإحساس بالظلم ، إضافة إلى إشاعة أن فلان هذا ظالم قد ظلمنى ، وذلك ليحتاط غيرك من الناس ليعلم كل ظالم فى حق غيره أنه ليس بمنجاة من السيئات التى فعلها .

ولكن إياك أيها المسلم أن تتوسع فى حكاية رد الظلم ، ولكن كن عادلاً بمقياس الإيمان الذى وضعه الله ردًّا على من ظلمك ، وهذا المقياس هو قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾[1] ، وذلك حين لايستشرى المعتدى، ولكن الله يقننها بقوله ﴿بِمِثْلِ ما اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ ولفظة ﴿ بِمِثْلِ ﴾ هذه لايستطيع إنسان أن يزنها وزنًا دقيقًا، لأننى ربما زدت فى الرد على «المثلية» المطلوبة فأكون معتديًا ، لذلك فإن الحق تبارك وتعالى يمتدح ﴿ الكَاظِمِينَ الغَيْظَ ﴾[2] فى آية أخرى، ولكن كظم الغيظ قد تكون له مواجيــد نفسية

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

تظل له أسبابه الموجودة التى يمكن أن تنفجر فى أى ناحية أخرى، فيصعد الحق الأريحية الإيمانية من ﴿الكاظمين الغيظ﴾[1] إلى مرحلة أخرى وهى :﴿ والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[2] ، فربّك لا يتركك تغلى بداخلك ، إنما يريد أن تخرج المسألة من قلبك بالعفو عمن ظلمك أو اعتدى عليك ، وليس ذلك فحسب بل تحسن إلى من أساء إليك فنراه يقول :﴿ واللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3] ، مرحلة أخرى تحسن فيها لمن أساء إليك ، لماذا ؟ – لأن المسيىء أو المتعدى أو الظالم، إنسان مريض ولابد أن تعالجه مثل المصاب فى بدنه ، وكذلك المصاب فى قيمه وأخلاقياته محتاج إلى علاج ، وعلاجه أن تنسى إساءته وتحسن إليه، فما معنى هذا ؟ معناه أن المبادئ القرآنية تتساند، فيقول الحق عزّ وجل : ﴿ وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ ولاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[4] فإذا ظلمك أحد إما أن ترد عليه أو تعفو ، وغالب الظن إن عفوت فإن صاحب السوء يستحى أو مثلما تقول « يختشى » على دمه ، والله لا يكذب إذا دفعت بالتى هى أحسن فقد حكم الله : (فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ فأنت بذلك تكون قدوة لنفسك

(١ ، ٢ ، ٣) سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

(٤) سورة فصلت : الآية ٣٤ .

ولغيرك ، لأن ما الذى يتعب الناس ؟ الذى يتعبهم أن يروا إنسانًا خيرًا منهم ، ولذلك حينما تكون أنت تقيًا ومصليًا ومؤديًا فرائض ربك تجد من يسخر منك ويتعرض لك تهكما ، لأنه يتعبه أن تكون فاضلا وأحسن منه ، فيريد أن تتساوى به فى فساده وهبوط أخلاقياته، وحتى لا يكون فيه حد أحسن من حد .

لذلك فعليك أيها المؤمن أن تتمسك بأخلاقياتك وفضائلك ، ولتكن قدوة لمن حولك فى سلوكك وأفعالك وكل تصرفاتك ، وتفعل كما قال لك الحق تبارك وتعالى : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[1] ، ولا تحفل بسخرية الساخرين ، لأن سخريتهم شرف لك ، ومن أساء إليك أحسن إليه ، لأنه مسكين مريض أخلاقيًا فحاول أن تجره إلى حظيرة الإيمـــان معك ، فإن يهدى بك الله إنسانًا خير لك من الدنيـــا وما فيها كما أخبر رسول الله ﷺ .

وليكن عفوك عمن أساء إليك عفو القادر ، أى عفوًا مقرونًا بالقدرة ، لأن الحق لا يريد لنا أن نعفو مع عجزنا عن أن نرد الإساءة ، لأن الحق سبحانه لا يريد لنا أن نستخذى أو نذل ، لأن

(١) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

المؤمن دائمًا كما يريده الحق قويًا عزيزًا يستمد قوته وعزته من إيمانه بربه .

اللغـــو

س - ما هو المقصود بقول الحق : ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغوِ فِى أَيمَانِكُم وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيمَانَ فَكَفَارَتُهُ إِطعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِن أَوسَطِ مَا تُطعِمُونَ أَهلِيكُم أَو كِسوتُهُم أَو تَحرِيُر رَقَبَةٍ فَمنَ لَّم يَجد فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفارَةُ أَيمَانِكُم إِذَا حَلَفتُم وَاحفَظُوا أَيمَانَكُم كَذَلِكَ يُبَينُ اللهُ لَكُم آيَاتِهِ لَعَلَّكُم تَشكرُونَ﴾[1] .

ج - اللغو هو ما يجرى على اللسان من غير أن يكون للقلب فيه نية ، مثل الأم تدعو على ابنها ، إذا ماضايقها، ولكنها دعوة من لسانها لا من قلبها، لذلك، فالله يعفينا من ألفاظ تجرى على اللسان بدون قصد قد تؤدى أحيانًا إلى الكفر، لذلك فإنه صلى الله عليه وسلم يقول : «اللهم بقلبه لا بلسانه». أى يارب لا تعاقبه بما نطق به لسانه، ولكن المؤاخذة والعقاب لاتكون إلا بما انتواه القلب وعقد العزم عليه، وكفارة ذلك بما يستر العقوبة ولايجعلها تقع،

(١) سورة المائدة : الآية ٨٩ .

مع إطعام عشرة مساكين أوكسوتهم أو عتق رقبة أو صيام ثلاثة أيام، ذلك كفارة أيمانكم، ولتحفظوا أيمانكم بعدم الحلف فى الفاضى والمليان.

س – كيف يأمن الإنسان بحياته كخليفة لله فى الأرض؟

ج – العبد الذى يعيش مع منهج الله، يكون فى سرور دائم لأن كل أموره خير سواء كانت ضراء أم سراء كما أخبرنا رسول الله ﷺ « إذا اصابك خير شكرت فكان خيرًا لك وإذا أصابك سوء صبرت فكان خيرًا لك » .

وإذا كانت الحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء فانظروا إلى جائزة الصبر فى قول الحق : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصابِرُونَ أَجرَهُم بِغَيرِ حِسَابٍ﴾[1] وهل هناك أكبر من فقد عزيز لديك ، فلتقل كما علمنا رسول الله « إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم اؤجرنى فى مصيبتى واخلفنى خيرًا منها » .

ولقد قالتها أم سلمة بعد وفاة زوجها أبو سلمة وكان ملء السمع والبصر ولم تكن تحسب أن هناك من هو خير منه لديها ولكنها لما صبرت واحتسبت ، فتزوجها رسول الله ﷺ بعد انقضاء عدتها ، فقالت إننى لم أكن أطمع لهذا الشرف أبدًا ، ولكنها عافية الصبر .

---

(١) سورة الزمر : الآية ١٠ .

لذلك عليك أيها المسلم أن تتلقى كل أمر من الله كما علمنا الأثر الصالح « أحمدك ربى على كل قضائك وجميع قدرك كله حمد الرضى بحكمك واليقين بحكمتك » فكل ما يخرج عن إرادتك استقبله بنور منهج الله فلا يتملكك حزن أبدًا ولا خوف أبدًا وهذه هى عظمة الإيمان والعمل بمنهج الله ، سلام مع نفسك ومع خالقك ومع الكون ، وهذا هو الذى يوفره الإيمان للمسلم ويفتقده غير المسلم .

وانظروا معى إلى الحضارة الغربية التى علينا ألا ننخدع بمظاهر الحياة فيها من تقدم وترف ، لأن كل ذلك يخفى تفككا وفقدانا للاستقرار ، وانظروا إلى شعب مثل شعب السويد ، فقد بلغ الفرد هناك حَدًّا من الرفاهية لا يوجد فى أى بلد فى العالم ، ومع ذلك عندهم أعلى نسبة فى الانتحار والجنون ، لماذا ؟ لأنهم شبعوا ماديًا ولم يشبعوا روحيًا ، لذا فقدوا توازنهم لأن من لا يعرف الله يفقد توازنه .

أما المسلم إذا ضاقت الدنيا أمامه يقول « يارب » فترتاح نفسه ويهدأ باله وتنفتح أمامه طاقات من النور الإلهى الذى يجعل له من بعد عسر يسرًا، ومن بعد ضيق فرجًا، ومن كل مأزق مخرجًا .

وانظروا إلى مثال آخر شهدته بنفسى فى نيويورك فعلى كل باب من غرف كل فندق هناك مكتوب عليه « إن حياتك أثمن من أن تتركها للص ، لذلك إذا هاجمك لص فى غرفتك فأعطه ما معك» وعندما تخرج من الفندق يقول لك موظف الاستعلامات « لا تخرج بمال كثير أو اجعل معك أقل النقود ، واستخدم الشيكات الصغيرة » ، فلماذا كل ذلك ؟ إن حضارة الغرب وتقدمه مصحوب بالقلق وعدم الأمن ، فوجدت تفسيرًا عمليًا لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [1] ، إنهم يعيشون فى ضنك يبطن ظاهر حضارتهم وتقدمهم ورفاهيتهم التى تخدعنا عما وراءها فنساق إليها دون وعى .

س - لماذا هم متقدمون ونحن متخلفون رغم أننا مسلمون نحمل منهج الله ؟ .

ج - الرد على هذا أن الحق سبحانه وتعالى يعطى لمن تفاعل مع أسبابه مؤمنًا كان أو كافرًا ، بدليل أن المسلمين عندما أخذوا بأسباب العلم والحضارة قادوا العالم فى قرون الإسلام الأولى ، وعندما أهملوا أو اغفلوا الأخذ بأسباب العلم والحضارة تخلفوا وتفوق عليهم من لا دين لهم ولا ملة ، وهذا هو العدل الإلهى ، أن الكافرين بالله

---

(١) سورة طه : الآية ١٢٤ .

محرومون من نعيم الله فى الآخرة لأنهم أعرضوا عن ذكر الله والإيمان فى الدنيا وإن لم يقصروا فى حق الأخذ بالأسباب ، بعكس المسلمين وإن لم يقصروا فى حق الله فى الدنيا تماما إلا أنهم قصروا فى حق الأخذ بالأسباب ، والحل هو أن تعود إلى منهج الله ، ومنهج الله هو الإيمان بالله المسبب الأعلى مع الأخذ بأسبابه ، وذلك يعطينا الفوز بنعيم الدارين الدنيا والآخرة ، الدنيا بأن نكون الأمة الحضارية كما كنا سابقًا ،وفى الآخرة بأن نفوز برحمة الله وجنته .

الدين النصيحة

س - النصيحة فى المجتمع كيف تكون ؟ .

ج - من المعروف لنا أن كل نصيحة مهما كانت فهى ثقيلة على النفس ، لذلك على الناصح أن يتحرى الوقت المناسب للنصيحة والحال الذى عليه المنصوح . وأن تكون النصيحة هى فيما بين الناصح والمنصوح فقط ، حتى لا تسبب له حرجًا إذا نصحته وسط غيره من الناس – لأن النصح معناه أنك إنسان جيد وهو إنسان سيئ لذلك فالنصح ثقيل فلا ترسله جبلا ولا تجعله جدلا والحقائق مريرة فاستعيروا لها خفة البيان أى الأسلوب الملائم الذى لا يحرج المنصوح ، فلا تتعالى عليه بتصويب تصرفاته ، أو رغبة فى الثناء والمدح منه ، ولكن افعل النصيحة ابتغاء مرضاة الله ولا تتعجل ثواب

خير فعلته ، فإن كان من الناس وفاء فستجد مقابل المعروف والإحسان معروفًا وإحسانًا ، وإن لم يكن عندهم وفاء فانتظر ثوابك وجزاءك من الله إن كان الله فى بالك حينما فعلت الخير والمعروف والإحسان مع غيرك من الناس، – ولكن إن غاب اللهعن بالك وانتظرت الجزاء من الناس فكل شر تناله منهم تستحقه لأنك نسيت الله فوكلك إلى الناس الذين انتظرت منهم الجزاء .

جزاء المرائين

س - المراءون بأعمالهم ... ما هو جزاؤهم ؟ .

ج - رسولنا ﷺ يوضح لنا أوصاف الناس الذين يراءون بأفعالهم ليحمدهم الناس عليها ، ويريدون جزاء من الله يوم القيامة ، فالله يقول لهم : لا . أنتم فعلتم ليقال كذا عنكم وقد قيل فلا جزاء لكم عندى ، فيقول ﷺ : « إن أول ناس يقضى عليهم يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمة فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل ، وأيضًا رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن . فيُسأل يوم القيامة عن هذه النعم فيقول تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن تقربًا إلى الله ، فيقول له الله : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ، وكذلك رجل وسع

الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، أنفقه ليقال عنه إنه جواد كريم وقد قيل » ولا جزاء لمثل هؤلاء الذين يعملون ابتغاء مرضاة الناس فلن ينفعهم الناس يوم يسحبون على وجوههم فى النار ليستخلص الله منهم حقه الذى نسوه فنسيهم .

انزعوا اليافطة

لذلك فعلى كل مؤمن أن يتنبه لهذه المسألة ، فمثلا نحن نرى كثيرين يبنون المساجد ويكتبون « يافطة » عليها بأسمائهم نقول لهم : إذا أردتم الثواب من الله سارعوا وانزعوا « اليافطة » ، وإن أردتم الشهرة وأن يقول الناس عنكم إنكم صالحين وأهل خير اتركوها كما هى ، ولكن لا تنتظروا خيرًا فى الآخرة من الله تعالى لأن مناط الجزاء الآخرة .

لذلك فالرسول حين يمنى أمته الإيمانية بشىء انظروا إليه فى « العقبة » حينما بايعه الأنصار على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ويساندوا الدعوة الإسلامية ويحمونها ، وقالوا لرسول الله ﷺ : لقد أخذت لنفسك ، نريد لأنفسنا منك فماذا نحن لو وفينا لك بتعهداتنا ؟ – فقال الرسول إجابة تدل على عظمة الرد ، قال لهم : « لكم الجنة » ، ولم يقل لهم إنكم ستنصرون وتفتحون البلاد

وتملكون مشارق الأرض ومغاربها وتأتيكم الخيرات من كل مكان ، لم يقل لهم هذا لأنه لو سمع واحد هذا الكلام واستشهد فلن يشهد نصرًا ولا فتحًا ولا غنيمة .

لهذا جعل الرسول إجابته تشمل الكل بأن وعدهم « بالجنة » جزاء لمن أرضى الله وبذل الخير فى دنياه لمرضاته وحده سبحانه ، مما يدلنا على أن الدنيا أتفه من أن يعد الرسول بالجزاء فيها وهو القائل : « لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء » .

الوسوسة

ولكن لا يعنى هذا إنك تزهد فى الدنيا ولا تستمتع بما فيها ، بل عليك كما قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾[1] . ولكن بالحلال الذى أحله الله ، وتبتعد عن طريق الهوى والشيطان ، ولا سلطان للشيطان عليك فلا تتحجج به ، لأنه ليس له قوة إلا على الغافل ، والمؤمن يجب أن يكون يقظًا .

(١) سورة القصص : الآية ٧٧ .

والشيطان قد قال بعزتك يارب لأغوينهم أجمعين إلا عبـــادك منهم المخلصين ، والمخلصون هم المؤمنـــون الذين استقامت حركة حياتهم مع منهج الله ، فلا سبيل للشـــيطان عليهم ، ولكن سلطانه على ضعـاف الإيمان المتبعين أهواءهـم وشهواتهم فيتمسحون بـه يوم القيامة فيقول لهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾[1] ، يتخـلى عنهم الشيطان ويقـــول لهم : أنا لم أضربكم على أيديكـــم ولكن ضعف إيمانكم جعلنى أتســـلل إليكم فدعوتكـــم فأطعتموني ولا ذنب لى إنما الذنـب ذنبكـــم أنتم ، ويقـــول الحـــق تبـــارك وتعالى :﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2] أى أشعره أنك متنبه له فاستعذ بالله من الشـــيطان الرجيم ، فإن ذلك يفزعه ويرعبه ، وعندما يعرف أنك متنبه له يتركك ، ولكنه يحـاول مرة أخـــرى وثالثـــة وعاشرة ، ولكن كلما كنت يقظًا ينصرف عنك وييأس منك .

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢٢ .

(٢) سورة فصلت : الآية ٣٦ .

ولك أن تعرف أن الوساوس التى تأتيك هل هى من الشيطان أم من نفسك الأمارة بالسوء ؟ ، تنظر إذا جاءتك وسوسة بمعصية فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم ، فإذا عادت إليك نفس الوسوسة بنفس المعصية فاعلم أنها نفسك الأمارة بالسوء ، لأنها لا ترضى ولا تسكن إلا إذا أشبعت لها شهواتها فتلح عليك حتى تقع فى المعصية .

أما الشيطـــان فهو يريدك عاصيًا على أى وجه وأى لـــون للمعصية المهم أن تكون عاصيًا ، فتسلح بالاستعاذة بالله من الشيطان يصرفه الله عنك ، وتسلح بالاستقامة وطاعــة الله بأن تعيش بمنهجه قولا وفعلا ، فترقى نفسك إلى النفس الراضية المرضية فتكون عبدًا ربانيًا يحبك الله وإذا أحب الله عبدًا كما يقول ﷺ فيمـــا رواه عن ربه يكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، وقدميـــه التى يمشى بها ، وإن سأل الله ليعطينه ،وإن استعاذ به ليعيذنه ، فحياة المؤمـــن فى كنف الله خير دائما ، ومن استعان بالله وجعل كل أعماله لمرضاة الله وابتغاء وجهه الكريم فلن يضل أبدًا .

س - قضية التعاون بين أفراد المجتمع – على أى شيء يجب أن تقوم ؟ .

ج - حينما يقول الحق سبحانه فى أول سورة المائدة : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1] . فإن الحق سبحانه إنما يدعو إلى تفاعل البشر جميعًا على الخير ، يعين بعضهم بعضًا عليه ، لأن قضية الحياة التى تطرح نفسها على الإنسان كخليفة لله فى الأرض تتطلب منه إلى جانب عبادة الله وحده أن يعمرها بالحركة ، وحركة فرد واحد لا تكفى بل يجب أن تتعاون كل الحركات البشرية من أجل أن يشمل الخير الجميع ، ويكفى لتصور ذلك أن ننظر إلى من يريد أن يبنى « عمارة » ، فهل يستطيع وحده تشييدها ؟ هل يمكن أن يكون هو الذى يبنى وهو الذى يقوم بالمحارة و « التغفيق » وإدخال المياه والكهرباء وغيرها من المرافق ؟ .

لا يمكن ذلك إلا إذا تعلم جميع هذه الحرف وهذا غير ممكن ، فلابد أن يستعين بغيره ، إذن فالتعاون ضرورى لاستخلاف الإنسان

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

فى الحياة كى يعمرها ولا يفسد فيها ، لأن الله يريدنا عمارًا لا مخربين ، وإذا استطعنا أن نزيد الصالح صلاحًا فلنفعل ، وذلك مثل بئر ماء بدلا من أن يذهب كل إنسان بجرة أو قربة ، أمكن رفع مستوى الماء عبر أنابيب وخزانات وصنابير لتصل إلى كل البيوت وبذلك زدنا الصالح صلاحًا ، ولكن لا تأتى للصالح فتفسده ، وهذا ما ينهانا الحق عنه بألا نتعاون على الإثم للإفساد بل نتعاون على البر للعمران ، وما هو البر ؟إنه كما أوضحه الرسول ﷺ : « ما اطمأنت إليه نفسك ولم تخش أن يطلع عليه الناس » ، وما هو الإثم ؟ : « إنه ماحاك فى صدرك وخفت أن يطلع عليه أحد غيرك » وهكذا .

فالإسلام هو دعوة للتعاون إلى الخير ، لذلك فكل جمعيات تتعاون على مشروع للخير أهلا بها ، ولكن لا تجعلوا لمثل هذه الجمعيات نشاطًا ينسب إلى غير دينكم مثل جمعية « الماسونية » أو « الروتارى » ، تؤدى مشاريع للخير على العين والرأس ولكن لا تجعلوا لها مسميات تقلدون فيها الغرب ، والحق يقول : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1] ، فنحن نريد تعاونًا وبناء وحماية من الهدم ، ويجب أن نفرق بين أناس تعاونوا على البر ، وآخرين تعاونوا

(١) سورة فصلت : الآية ٣٣ .

على الإثم بنقل أوامر الله من افعل إلى لا تفعل، ونقل لاتفعل إلى منطقة افعل، فيكونوا بذلك قد خالفوا منهج الله، ويدخل ضمن هؤلاء واحد مؤلف أغنية مثيرة مهيجة للغرائز وواحد لحنها وواحد غناها وواحد رقص عليها وواحد صفق لها، فكل هؤلاء متعاونون على الإثم.

اسألوا بناتكم

ونحن نقول لهؤلاء إياكم أن تفتنوا بمالكم وجمالكم فإن حياتكم قد ينهيها الله بمأساة حتى أن هؤلاء الذين أغروا الناس بالمال والجمال عندما يذهب كل ذلك لا يجدون مأوى إلا القلوب الرحيمة التى لم تفتن بهم ، والله أحيانًا يعجل بالعقاب والحساب فى الدنيا لمعربد ومسرف على نفسه فى الضلال حتى يرى بقية المعربدين والمضلين المصير الذى سوف ينتهون إليه علهم يثوبوا ويتوبوا ، وليعتبر الذين يتمتعون بثمرات الإثم والحرام ليفطنوا لأنفسهم قبل فوات الأوان ، لذلك يجب أن يراعى كل منا الله فى نفسه وفى الناس وكل من هو مسئول عنهم ، لأن كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته كما قال ﷺ .

وأول راع فى المجتمع هو رب الأسرة المسئول عنها الذى عليه أن يسأل أبناءه وبناته ، خاصة إذا وجد فى أيديهم أموالا أو هدايا : من أين لهم هذا ؟ .

وكذلك يعلمنا الحق سبحانه أن نسأل بناتنا عن فساتين يأتين بها أو أموال أو هدايا ، أن نسألهن عن مصادرها ، ولكن تغافلنا يفسد أمر البيوت حيث أنه لا الأم ولا الأب يعلم أحد منهما شيئًا عن أبنائهم ، حتى تقع الكوارث فيسألون عن أسبابها بعد فوات الأوان ، لذلك على الوالدين أن يتعاونا على مراقبة سلوك أبنائهم وبناتهم ، وأن يسألوهم عن كل شىء ويعرفون عنهم كل شىء لتقويم الاعوجاج إذا حدث فى الوقت المناسب ، وهذا من التعاون على البر .

الذين لا يعملون ويقبضون

ويدخل فى باب التعاون على الإثم كل من تقاضى أجرًا على وقت لم يعمل فيه ولم يبذل جهدًا ، فهو آثم ومعتد ، وكذلك من يرتشى أو يأخذ حق غيره ، ومثل هذه الصور مما يسبب اهتزاز المجتمع ، عدوان وإثم ، علينا أن نتعاون على دفعه ومكافحته ، بماذا ؟ ، بما أمرنا الله به : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ

﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] وكل من رأى منكرًا وسكت عليه ولم يغيره قدر استطاعته فهو مشارك فيه ومعاون عليه إثمًا وعدوانًا ، ثم يطلب الحق سبحانه وتعالى منا أن نجعل بيننا وبينه – وهو الجبار – وقاية ،فنجعل بذلك بيننا وبين ناره التى هى جند من جنوده وقاية لأن ﴿اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ، وإذا أفلت مجرم من المجتمع ولم يجد رادعًا منه فإنه لن يفلت من عقاب الله ، لأنه ما الذى يجعل المخالفين يجترئون على المخالفة ؟ لأنهم لا يجدون من يشعرهم بأنهم مخطئون ، ولو أن المجتمع مثلا وقف أمام شارع الهرم الذى يتعب سمعته ولم يذهب إليه أحد ووقف أمام المتهتكين والمتهتكات لا يوليهم اهتمامًا ولا أقول احترامًا ، ونبذهم المجتمع فستبور بضاعتهم ، ولكن تهاون المجتمع فى الجرائم الصغيرة يجعل المجرم يجترئ على ارتكاب الجرائم الكبيرة ،إنما الله شديد العقاب ، فإن أطمعهم ضعف المجتمع على المعصية فليتذكروا أن الله إذا أمهل لم يهمل ، وإذا أخذ الله مجرمًا فإنه يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

لذلك فالحق يفتح باب التوبة دائما ويقبل توبة العباد حتى تطلع الشمس من مغربها ، لقوله ﷺ « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » أى قبيل خروج روحه ، والتوبة جعلها الله حتى تطلع الشمس من مغربها ، فيقول ﷺ « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها » .

وذلك لأن الله يغفر الذنوب جميعًا ماعدا الشرك به ، فليتجه كل من أسرف على نفسه، إلى التوبة ، لأنه إن عاش الساعة فلا يضمن أن يعيش الساعة التى بعدها ولا يطغينه الحرام وإن كثر ، فخير لك أن تسأل الناس متسولا ، من أن تحصل على لقمة تلقمها من حرام ،فتضيع ما اكتسبته من حلال ، والحلال يبارك الله فيه وإن كان قليلا ، ولو عملت شحاذًا أفضل لك من أن تعمل فى الحرام ، والله لن يتركك أبدًا سائلا متسولا مادمت تتق الله وتأبى مخالفة منهجه ، فالله يوسع عليك ويرزقك من حيث لا تدرى ، لأن الحق قال وقوله الحق : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾[1] .

---

(١) سورة الطلاق : الآيتين ٢ ، ٣ .

أول مزاد فى الإسلام

س - كيف حل الإسلام مشكلة البطالة ؟

ج - البطالة التى يعانى منها العالم الآن وجد لها الإسلام حلا فى المجتمع الإسلامى منذ أربعة عشر قرنًا ، فحين تكثر البطالة بين المسلمين ، يقول الإسلام لك لا تتصدق بل يقول لك إن كنت قادرًا ، أو لولى الأمر ، احفر بئرًا ثم اردمها ، واعط الأجير أجره ،لأنه لازم أن يعمل ويشعر بقيمة الأجر الذى حصل عليه ، بعكس ما لو تصدقت عليه ، فإن ذلك سيشجعه على البطالة ، ومن لا يقدر على العمل أوجب الإسلام على أسرته أو قرابته ، أن يعولوه إذا كانوا قادرين على إعالته والتكفل بتوفير وسيلة المعيشة له ، فإذا لم يقدروا وجب إيجاد ضمان له من بيت مال المسلمين .

لكن الأساس الأول هو العمل وضمان العمل لكل إنسان مما يجب أن يوفره الراعى لرعيته والحاكم لشعبه ، أى عمل شرط أن يكون شريفًا ومشروعًا ، ولكن بعض الناس يريدون عملا بخصوصه ، يريدون أن يكونوا موظفين قاعدين على مكاتب وكراسى ، يعنى يريدون عملا على كيفهم ، وهذا لا يجوز ، وإنما اعمل أى عمل مشروع ترزق منه لأن الرزق لا يبخل على العامل من أجله .

وقد حدث فى عهد الرسول ﷺ أن سائلا جاء يسأله الحاجة ، فقال له الرسول « أليس عندك شىء » ؟ فقال « عندى حلس » ، يعنى إناء يأكل فيه ، فطلب منه الرسول أن يحضره ، وعمل له مزادًا ، فقال الرسول لمن حوله : من يشترى هذا ؟ ، فواحد قال بدرهم ، وآخر قال بدرهمين ، فرسى المزاد عليه ، وقال الرسول للسائل : خذ درهما واشتر به طعامًا لأهلك ، واشتر بالدرهم الآخر « قادوم » وذلك حتى يشعره أنها حاجته دون أن يعطيه ، ولما اشترى هذا السائل « القادوم » جاء إلى الرسول وهو ولى أمر المسلمين ،فقام بنفسه ﷺ وسوى له غصن شجرة وركب فيه هذا القادوم ، وقال له : خذ هذا « القادوم » يساعدك على أن تحتطب وتبيع ما تحتطبه ،وجئنى بعد خمسة عشر يومًا ، فلما جاء بعدها كان ضاحكًا مستبشرًا – فقال له الرسول « عملك بيدك خير من أن تسأل الناس فتجىء يوم القيامة وكلف – يعنى أثر – المسألة فى وجهك » ، هذه هى التربية ، وهذا هو العمل ، وتأملوا توجيه الرسول لله فى قوله « خير للناس أن تغنيهم ولكن خيرًا منها أن تجعلهم يعينون أنفسهم » .

س - ما الذى يجعل عقاب المجرمين غير رادع لسواهم عن ارتكاب الجرائم ؟ .

ج - لو قَدَّر المجرم الذى يرتكب جريمة أنه سوف يعاقب قبل التلذذ بجريمته ، ولو أنه قرن العقوبة بالجريمة ، ما ارتكب المجرم جريمته ، ولكن الذى يجعل المجرمين يتمادون فى جرائمهم إفسادا فى الأرض ، هو أنهم لا يجدون عقابًا .

وكذلك لو أن من يكسل عن الطاعة قد استحضر النعيم الذى تحققه الطاعة لأطاع ، ولكن الذى يحدث أننا نعزل الجريمة عن العقوبة ، والطاعة عن ثوابها ، فيحدث أن يتمادى العصاة فى جرائمهم ، ويكسل المتكاسلون عن الطاعة .

وحينما قرن الإسلام دستوره القرآن بإقامة الحدود ، كقطع يد السارق مثلا ، فإن الإسلام لا يهدف أبدًا إلى قطع الأيادى ، وإنما هدفه هو منع قطع الأيادى ، وهذا التشويه الذى يطنطن به من يعرقلون تطبيق شرع الله ، ينسون أن تشويه فرد واحد سيمنع كل من تسول له نفسه ارتكاب جريمة من الجرائم ، لأنه سيجد أن جريمته سوف تشوهه ، وإذا كان المعرقلون لتطبيق شــرع الله ينظرون إلى التشويه الذى يحدث للمجرمين

فلماذا لا ينظرون إلى حادثة سيارة أو انفجـــار أنبوبة بوتاجاز ، فكم واحد سيتم تشويههم فى هذه الحوادث ، ثم إننا يجب ألا ننظر إلى التشويه وقت القصاص ، بل يجب أن ننظر أيضًا إلى الجريمة وقت أن ارتكبت ، لأن إبطاء الحكم وتوقيع القصاص يُنسى الناس بشاعة الجريمة التى ارتكبها مرتكبها ، إنما لو جـــاء القصاص على المجرم بعد قيامه بجريمته فى حينها ، ما اكتسب المجرم العطف ، واعلموا أن من سمع عن قطع يد سارق أو رجم زان واستبشع الحكم فأعلموا أنه ناوٍ أن يرتكب جريمة الزنا أو السرقة .

السابقة الأولى

س - هل يجب أخذ مرتكب المعصية من أول مرة تخونه نفسه فيها ؟ .

ج -الإنسان قد يخون الغير لمصلحته ولكن لا يخون نفسه ، فقد ترتكب شهوة وعليها عقوبة فتكون قد خنت نفسك بأن أعطيت لنفسك شهوة عاجلة وتأخذ عقوبة عاجلة أو شهوة عاجلة وعقوبة باقية ، وخيانة النفس ليست عملية سهلة بل تحتاج إلى معالجات نفسية وشهوانية ، فمن المعقول أن تخون الغير ولكن أن تخون نفسك فهذه « خيانة وعباطة » ، ولكن إن غلبتك نفسك مرة على

شهوة ثم تبت وندمت على ألا تعود ، فقد محوت هذه السابقة لك عند ربك ، ومن واجب البشر ألا يجعلوها ذلة لصاحبها ، لأن الذى يملك التوبة والغفران قد تاب وغفر .

أما إن أصبحت خيانة النفس عادة لها فى ارتكاب المعاصى والشهوات فإن صاحبها يسمى « خوانا » ، أخذها عادة وحرفة ، لذلك فإن سيدنا عمر عندما أخذ أحد اللصوص بسرقة وأراد أن يقطع يده ، وجاءت أمه تبكى وتقول « والله يا أمير المؤمنين ما فعل هذه السرقة إلا أول مرة » ، فقال لها عمر : كذبت ، ما كان الله ليأخذ لأول مرة من أول سيئة » نعم فالله يستر على المذنب ولا يأخذه من أول ذنب أو أول معصية .

ومن عظمة الله سبحانه وتعالى أنه يكافئ من ستر أخيه المسلم ويعاقب من فضحه كما يوضح رسول الله ﷺ : « أن من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ، ومن فضح مسلما فضحه الله يوم القيامة » – وإذا كشفت المعصية فإنها لا تكون الأولى ، لأن الحق لا يعاقب بأول معصية ، لهذا فإذا كشفت المعصية وتم ضبطها وجب على ولى الأمر معاقبة صاحبها بإقامة الحد عليه ، يستوى فى ذلك كل من يستظلون بمظلة الإسلام وحمايته دون محاباة لمسلم على حساب غير المسلم .

لهذا فإنه عندما ذهب قوم إلى الرسول ليستشفعوا « لطعمة بن أبيرة » ليحكم الرسول له ضد اليهودى ، لأنهم استحيوا أن

يفتضح أمر مسلم وتتم تبرئة يهودى ، فعالج القرآن هذه القضية وجاء بالحيثية التى من أجلها يحاول هؤلاء القوم تبرئة مسلم على حساب آخر ، ولو كان غير مسلم ، فيقول الحق سبحانه :
﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا۝ هَآ أَنتُمْ هَؤُلاَءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾[1] .

فالله سبحانه وتعالى يريد أن يقول : « إذا حاولتم أن تعموا على قضاء الأرض فلن تعموا على قضاء السماء ، وافرض أن ابنك عمل معصية أو أحدًا من أهلك ، إياك أن تقول إن ذلك فضح لنفسك ، لأن الحكم ضد ما أنزل الله يكشفه الله ، أما الناس فمن الممكن تزييف الأمور عليهم .

ولكن الحق سبحانه لا يمكن أبدًا تزييف الأمور عليه ، لأنه سبحانه مع الناس جميعًا فى الخلوة والجلوة ، فى السر والعلن ، فكل شىء يفعله الإنسان فى بيته ليلا وكل تدبير بخفاء ، يعلمه الله لأن الإنسان لا يدبر فى خفاء إلا ليبتعد عن العيون التى مثله ، أما العيون الأزلية الإلهية فأين يذهب منها ؟ .

---

(١) سورة النساء : الآيتان ١٠٨ ، ١٠٩ .

وإياكم أن تفهموا أن الإيمان جاء ليقيد حريتكم وشهواتكم ، ولكنه جاء ليعلى حريتكم وشهواتكم – فعندما يقول لك غض بصرك عن محارم غيرك ، ظاهر الأمر أنه يقيد حريتك وشهوتك ، ولكنه وإن قيدك كفرد ، فقد قيد الملايين من أجلك ليمسكوا عن محارمك ، إذن فأنت الكسبان ،لذلك فلا تنظر للأمر تكلف به وحدك بل انظر للأمر يكلف به الآخرون ، فقد حرم عليك السرقة لكن انظر إلى أنه حرم على الجميع أن يسرقوا منك ، فالنتيجة فى النهاية لصالحك .

لا تحسدوا متفوقًا

س - من ظواهر المجتمع السلبية محاربة المتفوقين ، فما رأى فضيلتكم فى هذه النقيصة ؟ .

ج - عندما تجد إنسانًا متفوقًا عليك لا تحسده ، لأن شطارته ستعود عليك بخير تفوقه ، فالنجار مثلا حينما يكون ماهرًا سيعود خيره عليك ، فيصنع لك « موبيليا » جيدة ، وعندما تجد مدرسًا ممتازًا يجب أن تفرح لأنه سيجعل أولادك ممتازين فى تعليمهم .

إذن : عندما ترى متفوقًا فلتحمد الله ، والمفروض أنك تفرح ، ولكنك يجب أن تحزن عندما تجد صانعًا أو زارعًا أو معلمًا خيبانًا ، لأن خيبته ستعود عليك وعلى بقية الناس – لهذا فالمجتمع الراقى هو ذلك الذى يكون مجتمعًا مثاليًا مبنيًا على مزوالة الأعمال الشريفة والتفوق فيها ، وهذا شيء يجب أن يسعد به الجميع ، لأن خير تفوق الجميع فى أعمالهم سيعود أيضًا على الجميع .

أما أن تجد نفسك متفوقًا وتجد غيرك خائبًا فتسعد ، فسعادتك لا معنى لها ، لأن هذا الخائب فى مجال تخصصه قد تحتاجه يوما فلن يؤدى لك ما تريده بما تحب أن تريده .

وانظر فى نفسك حين تريد قص أظافرك ، تجد يدك اليمنى تقوم بذلك خير قيام ليدك اليسرى ، ولكن عندما تحاول أن تقوم يدك اليسرى بقص أظافر يدك اليمنى تجد تعبًا فى ذلك ، لذا فمن مصلحة الكل أن يتفوق الكل ، لأن الخلافة فى الأرض تتطلب مواهب متعددة وصفات متعددة ولا يمكن أن يكون فيه واحد مجمع مواهب يزرع ويصنع ويتاجر ويحرس ، لا يحدث ذلك أبدًا ، لأن الحق وزع مقتضيات الخلافة على كل الناس فى الأرض توزيعًا يجعل الارتقاء ضروريا لا تفضليا، بأن تكون محتاجًا لمواهب ليست عندك ، وآخر محتاج لمواهب ليست عنده ، وهكذا جعل الله المواهب موزعة بين الناس حتى يحتاج الخلق للخلق ، ليرتبط الناس ببعضهم

رباطًا قويًا ، وتجد أن من حكمة الحق أن جعل كل الناس مرءوسين لبعضهم ، أنت مرة رئيس ومرة مرؤوس ، وانظر مثلا إلى « السباك » تحدثه كم مرة ليأتى لك ويفرض شروطه عليك وتضطر لقبولها ، وتجد أنك وأنت المتعلم صاحب الشهادات لك مرتب محدود ، بينما الأمى الجاهل هو الذى يحدد أجره ويرفعه كيفما شاء بالصنعة التى تعلمها ، وهكذا فلا أحد يأسى على أبناء أسرة لم ينل بعضهم حظهم من التعليم ، لأن لذلك حكمة في ألا يتساوى الناس فى مستوياتهم الاجتماعية ، وإلا فلن يوجد العامل والفلاح والتاجر والحلاق وماسح الأحذية .

أشول .. لماذا ؟

س - من الظواهر التى نلاحظها استعمال البعض لليد اليسرى - فما هى دلالة هذا ؟ .

ج - من المستحب التيامن فى كل شىء ، أى استعمال اليمين ، ولكن عندما يستعمل أحدنا يده اليسرى ، فعلى أى شىء يدل هذا ؟ إنه يدل على أنها مسألة تكوينية وليست مسألة ميكانيكية ، وإنما هى صنعة الخالق ، لذلك لما يقولوا لنا إن العقل الألكترونى لا يخطئ ، فنقول لهم : إن خيبته أنه لا يخطئ لأنه يعمل

ميكانيكيا ، إنما العقل البشرى يخطئ وينسى ، « ويدكن » يعنى يخفى ما يريد إخفاءه ،وهذا هو الفرق بين ميكانيكية صناعة البشر ، ومرونة صنعة الخالق ، لذلك إذا وجدت أن لك ابنًا يأكل بشماله فلا تضربه ليأكل باليمين ،لأنك سوف تفقده القدرة على أن يستعمل يمينه أو يساره ، وقد وجدوا فى تكوين السيطرة على المخ شذوذًا فى بعض الناس يفقدهم السيطرة على استعمال يدهم اليمنى ، وفى هذا دليل على أن مسألة التكوين البشرى ليست قانونًا روتينيًا بل هى قدرة الخالق الأعظم .

عاشقو المنهج

س - فى عهد الرسول نجد أن أصحابه كانوا يسألونه عن بيان أحكام أشياء ، مع أنه قال « اتركونى كما تركتكم ولا تكونوا كبنى إسرائيل فتشددوا فيشدد الله عليكم » .. فلماذا ؟ .

ج -لقد عشقوا المنهج فراحوا يسألون ليبنوا تصرفاتهم إيمانيا ، لأن الإسلام جاء وأقر أشياء من الجاهلية ، لأنه جاء كدين ليقضى على الفساد فقط وليس متعنتا ضد ما قد يوجد فى الجاهلية من خير ، فما وجده من خير أقره ، وما وجده من فساد يقضى عليه ،

وما وجده من اختلاط الخير بالشر يعدله ، ولذلك كان المسلمون يسألون هل هذا نفعله أو لا ؟ وقد يكون ما يسألون عنه من أمور الخير ولكنهم لا يريدون أن يأخذوه عن الجاهلية وإنما يأخذونه بإقرار الإسلام له ليبنوا تصرفاتهم على أساس إسلامي .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول : الطريق إلى أسرة صالحة وأطفال أصحاء	١١
* أسرتى الناجحة	١٢
* الرضاعة الصحية	١٥
* معاملة الزوجة	١٨
الفصل الثانى : شباب الجد واللعب	٢٥
* لاتربية للشباب	٢٨
* قوانين الجد واللعب	٢٩
* حكم اللحية والزى	٣٣
* مسألة النقاب حرية شخصية	٣٥
الفصل الثالث : أغنياء متسولون وفقراء أغنياء	٣٧
* أبو حنيفة والمال والشيطان	٣٨
* أقسم لكم	٤٦
* توبة السارق	٤٨
* ظواهر خادعة	٥٠
* العلاقة بين المالك والمستأجر	٥١
* لاتقتلوا أنفسكم	٥٤

الصفحة



فضيلة الشيخ الشعراوى يجيب على أسئلة المؤلف

رقم الإيداع	٢٠٠٢/١٥٨٤٣
الترقيم الدولى	977-02-6346-X ISBN

١/٢٠٠٢/٤٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)